الفصل الثالث

النحو العربي والشعر الهذلي

ظَلَّ العربُ يتكلمون بفطرتهم لغةً عربيةً فصيحةً صحيحةً، بريئةً من اللحنِ والفسادِ، وكانوا لا يرجعون في ذلك إلى قواعد مدروسة، أو أصول معروفة، وإنما هي السليقةِ والفطرة والطبع، فلما فتحت الفتوح، وانتشرَ المسلمون في أنحاء الأرض، واختلط العربُ بغيرهم من الأمم، ظهرَ اللحنُ على ألْسِنةِ بعضِ العرب، وكان قليلاً في أولِ الأمرِ، ثم فشا بعدَ ذلك مما دعا العلماء أن يضعوا بعضَ الأصولِ والضوابط التي تعصم من اللحن، محافظةً على اللغة وخشية أن يتسربَ اللحنُ إلى قراءة القرآن الكريم.

وقد ظهرَ اللحن في عهد الرسول ﷺ، وروى بعضُ الرواة أنه عليه السلام سمعَ رجلاً يلحن في كلامه فقال: " أرشدوا أخاكم فقد ضَلَّ"(١) غير أن اللحنَ في صَدْرِ الإسلام كان لا يزال قليلاً بل نادراً، وكلما تقدَّمنا مع الزمن اتسع شيوعُه على الألسنة، وخاصَّةً بعد تعرُّب الشعوب الأعجمية التي كانت أَلْسِنَتُها تحتفظ بكثيرٍ من تموجاتها اللغوية، مما فسح للتحريفِ في عربيتهم التي كانوا ينطقون بها، كما فسح للحنِ وشيوعه(٢). فدعا ذلك إلى وضع مراسم وقوانين وقواعد يُعرفُ بها الصوابُ من الخطأ في الكلام خشيةَ دخول اللحنِ وشيوعه في تلاوة آيات الذكرِ الحكيم.

وكان هناك بواعث أخرى لوضع النحو، بعضها قوميّ عربيّ، يرجع إلى أن العرب يعتزون بلغتهم اعتزازاً شديداً، وهو اعتزازٌ جعلَهم يخشَوْنَ عليها من الفسادِ حين امتزجوا بالأعاجمِ مما جعلهم يحرصون على رسم أوضاعها خوفاً عليها من الفناء والذوبان في اللغات الأعجمية(٣). وكان هناك بجانب ذلك بواعث اجتماعية ترجع إلى أن الشعوب المستعربة ـ وقد أسلمت ـ أحسَّتْ الحاجة الشديدةَ لمن يرسم لها أوضاعِ العربية في إعرابها وتصريفها حتى تتمثلها تمثلاً مستقيماً، وتتقن النطقَ بأساليبها نطقاً سليماً(٣). ولا شك أن كل ذلك جعل الحاجة شديدة إلى وضع قواعد النحو العربي.

---

(١) الاقتراح في أصول النحو للسيوطي ص ٢٤.

(٢) المدارس النحوية للدكتور شوقي ضيف ص ١١ الطبعة الثانية ـ دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٢.

(٣) المرجع السابق ص ١٢.

ولقد اعتمدَ العلماءُ في وضعِ هذه القواعد على المصادر السماعية في أَوَّلِ الأمر والمصادر السماعية هي كلامُ مَن يوثق بفصاحته، وذلك يشمل القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكلام العرب.

أما القرآنُ الكريم فكان من أهم مصادر النحو بجميع قراءاته، فكلُّ ما ورد أنه قُرِئَ به يجوزُ الاحتجاج به في العربية. سواء أَكَانَ ذلك متواتراً أم آحاداً أَم شاذّاً، فالقراءات الشاذّة يجوز الاحتجاج بها، إذا لم تخالف قياساً معروفاً، بل لو خالفت قياساً معروفاً فإنها يُحتجُّ بها في مثل ذلك الحرف بعينه وإن لم يجز القياس عليه[1]. وذكر السيوطيُّ أنه لا خلاف بين النحاة في الاحتجاج بالقراءات الشاذة، وإن كان الفقهاء قد اختلفوا في الاحتجاج بها في الفقه[1].

وأما الحديث الشريف فهناك خلافٌ بين العلماء في جواز الاحتجاج به في العربية فيرى فريقٌ من العلماء أَنَّ الحديثَ مصدرٌ من مصادر العربية، يصح الاستشهاد به لأن رسول الله ﷺ أفصحُ العربِ قاطبةً، وحديثُه أصحّ سنداً مما ينقل من أشعار العرب، ولقد تشدد أهلُ العلم في ضبطِ ألفاظه، وتحرّوا في نقله، ولهذا الأصل تحصل غلبة الظن بأن هذا الحديث مروي بلفظه، وهذا الظن كاف في إثبات الألفاظ اللغوية، وتقرير الأحكام النحوية[2]. وقد جوز الاستدلال بالحديث ابن مالك والرَّضِي وغيرهما من العلماء[3].

ويرى كثير من النحويين أن الحديثَ الشريفَ لا يعدُّ مصدراً من مصادر النحو، ولا أصلاً من أصوله، ويقولون: إنَّ رسولَ الله ﷺ أفصحُ العربِ لساناً وأبرعُهم بياناً، وحديثُه أصحُّ سنداً، ولكنَّا لا نثق أن ذلك لفظ الرسول عليه السلام[4] ومن هؤلاء ابنُ الضائع وأبو حيان. وذكر البغدادي أن سندهما أمران:

أحدهما: أنَّ الأحاديثَ لم تُنقل كما سُمِعَتْ من النبيِّ ﷺ، وإنما رُويت بالمعنَى. وثانيهما: أن أَئمة النحو المتقدمين من المِصْرَيْنِ لم يحتجوا بشيء منها.

---

(١) الاقتراح للسيوطي ص ١٥.

(٢) دراسات عربية في اللغة والدين والأدب للدكتور أحمد حسن كحيل ص ٧. مطبعة دار السعادة سنة ١٩٦٩م.

(٣) مقدمة خزانة الأدب للبغدادي ص ٩.

(٤) دراسات عربية للدكتور أحمد حسن كحيل ص ٧.

وردَّ الأوَّلَ بأن النقل بالمعنى إنما كان في الصدرِ الأول قبل تدوينه في الكتب وقبلَ فسادِ اللغة، وغايتُه تبديلُ لفظ بلفظ يصح الاحتجاج به، فلا فرق. على أن اليقينَ غير شرط بل الظنّ كاف. وَرَدَّ الثاني بأنه لا يلزم من عدم استدلالهم بالحديث عدمُ صحة الاستدلال به، والصواب جوازُ الاحتجاج بالحديث للنحوي في ضبط ألفاظه، ويلحق به ما رُويَ عن الصحابة وأهل البيت كما صنع الرضي في شرح "الكافية"(١) وتفصيل آراء العلماء في المنع والجواز مبسوط في المراجع(٢).

وأما كلام العرب وشعرهم فإنه يحتج بما ثَبَتَ منه عن العربِ الفصحاء، الموثوق بعربيَّتهم، والعربي الذي يُحتج بكلامه لا تشترط فيه العدالة، لأن العربيّ يتكلم بفطرته، وينطق على سجيته، لا يتكلَّف ولا يدلِّس، فلذلك لا تشترط فيه العدالة، وإنما تشترط العدالة في الراوي، إذ لا بد أن يكون الراوي ثقة. وذكر السيوطي ـ نقلاً عن بعضهم ـ أنه يُعْتَمَدُ في العربية على أشعار العرب وهم كفار لبعد التدليس فيها، ولذلك فالعربي الذي يُحتجّ بقوله لا يشترط فيه العدالة ولكنها تشترط في راوي ذلك، وكثراً ما يقع في كتاب سيبويه حدثني من لا أَتَّهِم وحدثني الثقة، وكان يعني بذلك أبا زيد النحوي(٣).

وقد قسم العلماء شعراء العرب إلى طبقات أربع هي: الجاهليون والمخضرمون والإسلاميون، والْمُحْدَثونَ(٤). وذكر البغدادي أن الطبقتين الأُوليين يستشهد بشعرهما إجماعاً، وأما الثالثة فالصحيح صحة الاستشهاد بكلامها، وأما الرابعة فالصحيح أنه لا يستشهد بكلامها مطلقاً، وقيل يستشهد بكلام مَن يوثق به منهم واختاره الزمخشريُّ(٤).

ولقد أسلفنا أنَّ القبائل العربية لم تكن في مستوى واحد من الفصاحة، ولا من السلامة من اللحن، بسبب اختلاطها بغيرها، وقرب بعضها من الحضر. وأنَّ أكثرَ القبائلِ التي أُخِذَتْ عنها العربيةُ الصحيحةُ واعْتُمِدَ عليها في ذلك هي: قَيْس،وتَميم، وأَسَد، وهُذَيْل، وبعض كِنَانة، وبعض الطائِيِّين، واستُبعِدَتْ قبائل حِمْيَر، ولخم،

---

(١) مقدمة خزانة الأدب للبغدادي ص ٩.

(٢) انظر مقدمة خزانة الأدب ص ٩ – ١٥، ودراسات عربية للدكتور أحمد حسن كحيل ص ٧– ١١.

(٣) الاقتراح ص٢١.

(٤) مقدمة خزانة الأدب للبغدادي ص٦.

وجذام، وقضاعة وغسان، وإياد، وبني حنيفة، وثَقيف وعبد القيس، لمجاورتهم لغيرهم من الأعاجم واحتمال تسرب الخطأ إليهم.

وكانت هُذَيْلٌ من القبائل العربية البادية التي لم تعرف الاختلاط ولذلك ظلّ الشِّعْرُ الهُذَلِيُّ دائما مرجعاً للعلماء في الاستشهاد به، وبقيت أشعارُهم مورداً لشواهد اللغة ونضداً يلتف حوله العلماء والأدباء اللغويون والنحاة، إذ كانت هذه القبيلة بعيدةً عن المؤثرات الخارجية، ومن ثم عزفت عن الدخيلِ، وصدفت عن الخطأ وامتازت بفصاحة اللسان وسلاسة البيان، وسلامة اللغة والتعبير.

على أنَّ لغاتِ العرب كلَّها تعد حجةً ومصدراً من مصادرِ النحو، واللهجاتُ العربيةُ مهما اختلفت وتنوعت يحتجُّ بها، فليس لنا أن نردَّ إحدى اللغتين بالأخرى، ألا ترى أن لغة أهل الحجاز في إعمال ما، ولغة تميم في إهمالها يقبلهما القياس ويعوّل عليهما في استنباط الأحكام، وليس لنا أن نردَّ إحداهما بالأخرى، لكن لنا أن نتخيَّرَ إحداهما[1].

والواقع أن عناية النحويين بكلام العرب قد كلفتهم متابعة دقيقة لما كانوا ينطقون به، ومن ثَمَّ لاحظوا أن العربَ كانوا يلتزمون خصائص معينة باطراد، كما كان بعضهم يحيد عن هذه الخصائص فيجيء بالشاذِّ أو القليل أو النادر أو نحو ذلك. فقد كان بين القبائل العربية بعض المظاهر في اختلاف اللهجات فيما بينها على نحو ما أسلفنا في الباب الثالث. ومن هنا" رأينا لهُذَيْلٍ الْمُطَّرِدَ كما رأينا لها المنحرف، وفي كلٍّ هذا استطاع النحويون أن يمثلوا لنا لغتها كما كانت. ولسنا نملك بعد ذلك أن نحكم برأي قاطع في هذا المنحرِف فنقول بصحته أو خطئه، وكل ما ندري أن يكون مرجع ذلك كله ما استقر في ذهن الشاعر من لغته أو أنه كان يتكلم بالسَّجيَّةِ فيتصرف ويرتجل ويخترع ما لم يكن[2].

ومن أمثلةِ ذلك أن الشائعَ عن العرب استعمال "متى" اسم استفهام واسم شرط[3]. ولكنَ هُذَيْلاً تستعملها بمعنى "مِن" الجارة، قال الأشموني:

---

(١) دراسات عربية للدكتور أحمد حسن كحيل ص ١٤.

(٢) شعر الهذليين د. أحمد كمال زكي ص ٣٢٢.

(٣) شرح الأشموني ١/٥٣ ط عيسى البابي الحلبي.

"وأما متى فالجرُّ بها لغة هُذَيْل وهي بَمعنى من الابتدائية، سمع من كلامهم: أخرجها مَتى كُمِّه أي: مِن كُمِّه" قال أبو ذؤيب:

شربْنَ بماءِ البحرِ ثم ترفّعَتْ متى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيجُ (١)

والشاهدُ فيه قوله: "متى لُجَجٍ" فإنها حرف جر بمعنى مِن، وهي لغةُ هُذَيْلٍ. وكما قال ساعدةُ بن جُؤَيَّة الهُذَليُّ:

أَخْيَلَ بَرْقاً متى حابٍ له زَجَلٌ إذا يُفَتِّرُ مِنْ تَوْماضِه حَلَجا (٢)

وذكر السُّكَّريُّ أن متى هنا في معنى مِن، وأن الشاعر أراد "أَخْيَلَ بَرْقاً مِنْ حابٍ" على أنَّ هُذَيْلاً قد استعملت متى للاستفهام والشرط أيضاً على نحو ما هو شائع عند العرب، قال مالك بن خالد الخُناعي يرد على مالك بن عوف النصريِّ:

متى تَنْزِعوا من بطنِ ليَّةَ تُصْبِحُوا بِقَرْنٍ ولم يَضْمُر لكم بطنُ مِحْمَرِ

فلا تَتَهَدَّدْنا بقَحْمِكَ إنَّنا متى تأتنا نُنْزِلْكَ عنه ويُعْقَرِ (٣)

ومن القليلِ أو الشاذِ في الشِّعْرِ الهذليِّ قول عبد مناف بن رِبْع:

حتى إذا أَسْلَكُوهم في قُتَائِدَةٍ شَلاًّ كما تَطْرُدُ الجَمَّالَةُ الشُّرُدَا (٤)

فقوله "إذا" ليس لها في البيت جواب مع أن البيت آخر القصيدة. وفي خزانة الأدب أن الجوابَ محذوفٌ لتفخيم الأمر، أي: بلغوا أَمَلهم أو أدركوا ما أحَبُّوا ونحو ذلك. وقال: وهذا هو الصوابُ من أقوال ثلاثةٍ(٥). وقال الأصمعي: ليس لها جواب،وقد سمعتُ خَلَفاً الأحمر ينشد رَجَزاً عن أبي الجوديِّ:

---

(١) المرجع السابق ٢/٢٠٥.

(٢) كتاب شرح أشعار الهذليين ٣/١١٧٣. وقوله "أَخْيَلَ برقاً"، أي: رأى خَلاقَةَ مطر، والمعنى أنه يرى السحابَ فيظنه خليقاً بالمطر. و"برقاً متى حابٍ". أراد أخيلَ برقاً من حابٍ، والحابي: السحابَ المرتفع، ومتى في معنى مِنْ، وإنما سمي حابياً لأنه قد أشرفَ قبلَ أن يُطَبِّقَ السماء. والتَّوْمَاض: اللمع الضعيف من البرق. وحَلَج: مطر، وأصله المطر الضعيف الخفيف.

(٣) ديوان الهذليين ٣/٧.

(٤) المرجع السابق ٢/٤٢.

(٥) خزانة الأدب للبغدادي ط بولاق ١٢٩٩هـ.

لو قَدْ حَدَاهُنَّ أبو الجُودِيِّ برَجَـزٍ مُسْحَنفِرِ الهَـوِيِّ

مُسْتَوِياتٍ كَنوَى البَرْنِيِّ

فلم يجعل لَوْ جواباً. وقد يقال: إن قوله: "شَلاًّ" جواب، كأنه قال: حتى إذا أسلكوهم شَلُّوهم شَلاًّ[1].

وَمع ذلك نجد أن بعضَ العلماء لا يرى في هذا المنحرف شذوذاً فيأخذُ به مستشهداً على قواعد النحو. ومن أمثلة ذلك أن الشائعَ عن العرب بقاء ألف المقصور على حالها عند إضافته لياء المتكلم، فيقولون: عصايَ وفتايَ وهوايَ، فإذا كان قبل هذه الياء حرف من حروف العلة المعروفة فإنهم يدغمون الألف في الياء فيقولون: إِلَيَّ وعَلَيَّ. ولكن هذيلاً تلجأ إلى الإدغام في الحالتين جميعاً فتقول: عصَيَّ وفَتَيَّ وهَوَيَّ، وقد أشار ابن مالك إلى ذلك بقوله:

وأَلِفاً سَلِّمْ وفي المقصورِ عَنْ هُذَيْلٍ انقلابُها يـاءً حَسَنْ[2]

وروى شاهداً على ذلك قول أبي ذؤيب في عينيته:

سَبَقُوا هَوَيَّ وأَعْنَقُوا لِهَواهُمُ فَتُخُرِّموا ولِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ[3]

والشاهد في "هَوَيَّ" حيث قلب فيه ألف المقصور ياء وأدغمت الياء في الياء، فإن أصله هوايَ، وهذه لغة هُذَيْلٍ.

وفي الأشموني أن انقلاب ألف المقصور ياء عند إضافتها لياء المتكلم لغةٌ حكاها عيسى بن عمر عن قريش[3]. وهذا عجيب حقاً. ثم علينا أن نلاحظ أنَّ هذه اللغة التي تروى لهُذَيْل تعدُّ مشهورةً لدرجة أنها مساوية في الشهرة لما عليه الجمهور.

وذكر الأستاذ عبد الوهاب حمودة[4] أن أبا الطفيل قرأ في قوله تعالى: ﴿**قال يا بُشْرَى هذا غُلام**﴾ [يوسف: ١٩] يا بشريّ بقلب الألف ياء وإدغامها في ياء الإضافة على لغة هُذَيْل وناس غيرهم، وقرأ عبد الله بن أبي إسحاق وعاصم الجحدَري ﴿**قال هي عَصيَّ أتوكأُ عليها**﴾ [طه: ١٨].

---

(١) كتاب شرح أشعار الهذليين ٢ / ٦٧٦، وديوان الهذليين ٢ / ٤٣.

(٢) شرح الأشموني ٢ / ٢٨١.

(٣) المرجع السابق ٢ / ٢٨٢.

(٤) القراءات واللهجات للأستاذ عبد الوهاب حمودة ص٢٨ مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٤٨.

ومصادرُ النحوِ العربي حافلةٌ بالاستشهاد بالشِّعْرِ الهُذَلِيِّ، ومعروفٌ أنَّ سيبويه في كتابه قد عُني بالشواهد لتثبيت الأحكام والإذعان بها من القرآن الكريم ونثر العرب وشعرهم، وأنه لم يَجْنَحْ إلى الاستدلال بالحديث الشريف شأنَ أسلافه ولداته، وذلك لانعدام الثقة في نقلِ الحديث بلفظه الوارد عنه ﷺ لتصريح العلماء بجواز الرواية بالمعنى، إذ لو وثقوا بلفظه لجرى مجرى القرآن الكريم في القواعد الكلية(١). والشواهدُ الشعرية كثيرةٌ في كتاب سيبويه، فقد قالوا: إن فيه خمسين وألفاً من الأبيات الشعرية، وأن الفاً منها منسوبةٌ إلى قائليها، وأن الخمسين الباقية مجهولة النسبة حيث لم تُعرفْ أسماءُ قائليها. وقد سُميَّت الأبياتُ الخمسون بين العلماء بأبيات سيبويه الخمسين المجهولة القائل(٢).

ولقد قمتُ بإحصاءٍ طريفٍ مفتشاً فيه عن مدّى عناية سيبويه بشعْرِ هُذَيْلٍ في الاستشهاد به. فوجدت أنه قد استشهدَ بما ينيف عن خمسة وعشرين بيتاً لهُذَيْلٍ وحَدها(٣). ولعل في هذا ما يكشف عن اتجاه شيخ النحاة في الاحتجاج بالشعرِ الهُذَلِيِّ، فإن مما لا ريب فيه بين العلماء قاطبة أن سيبويه لم يحتجَّ في كتابه إلا بأشعارِ مَنْ يُسْتَشْهَدُ بشعْرِهم من الجاهلين والمخضرمين والإسلاميين، وأنه لم يتجاوزهم إلى المُحْدَثين. ولقد كان ذلك ديدنه في تعليمه ودراسته وحجاجه(٤).

ولا بأس أن نذكرَ هنا أمثلة من استشهاد سيبويه بالشعر الهُذَلي في الكتاب فقد قال في باب الأفعال التي تُسْتَعْمل وتُلْغَى: "ومما جاء في الشعرِ مُعْمَلاً قول أبي ذؤيب:

فإن تَزْعُميني كنتُ أجْهَلُ فيكُمُ فإنّي شَرَيْتُ الحِلْمَ بَعْدَكِ بالجَهْلِ(٥)

والشاهدُ في إعمال تزعميني، كما أعمل حسبتُ وظننتُ والضميرُ المنصوبُ هو المفعول الأول، والجملة في موضع المفعول الثاني وهي قوله: كنتُ أجهلُ فيكم. وقول

---

(١) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة للشيخ محمد الطنطاوي ص٧٠ الطبعة الثانية ١٩٦٩م.

(٢) المرجع السابق ص ٧٢.

(٣) انظر شواهد الكتاب لسيبويه جمعها ونشرها الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي المطبعة النموذجية سنة ١٩٤٩.

(٤) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة للشيخ محمد الطنطاوي ص٨٣.

(٥) شرح أبيات سيبويه للمَرْزُبان السيرافي تحقيق الدكتور محمد علي الريح هاشم ١/٦٣ مطبعة الفجالة الجديدة بالقاهرة ١٩٧٤.

سيبويه: "ومما جاء في الشعرِ مُعملاً" ليس يريد به أن هذا الإعمال إنما يكون في ضرورة الشِّعْرِ، بل يريد: ومما جاء في الشِّعْرِ شاهداً على إعمال الفعل الأول قول أبي ذؤيب.

وقال سيبويه في باب من أبواب "مع": "وقد زعموا أنَّ ناساً يقولون: كيف أنت وزيداً، وما أنت وزيداً" ثم مضى في كلامه حتى انتهى إلى قوله: "كأنه قال كيف تكون أنتَ وقَصْعَةً من ثريد، وما كنتَ أَنتَ وزيداً". يعني أنه نصب الاسم الذي بعد الواو بإضمار الفعل الذي يَكْثُرُ وقوعهُ بعد: ما، وكيف. وذلك الفعل كان ويكون، لأنه يكثر في كلامهم: كيف تكون أنتَ وزيداً، وما كنتَ أنتَ وزيداً. فلما كان هذا من المواضع التي يكثر استعمالُ الفعلِ فيها، تركوا ذِكْرَه وَنَووْهُ، قال أُسامةُ الهُذَليُّ:

وما أَنا والسَّيْرَ في مُتْلَفٍ يُبَرِّحُ بالذَّكَرِ الضَّابِطِ(١)

والشاهدُ أنه نصبَ السَّيْرَ بتقدير: ما أكونُ أَنا والسَّيْرَ. وذكر ابنُ يعيش أن الشاهدَ فيه نصبُ السَّيْرِ بإضمارِ فعلٍ كأنه قال: فما كنتُ أنا والسيرَ، أو فما أكونُ أنا والسيرَ ولو رفع لكان أَجود. وذكر أن أبا الحسن الأخفش قال: قوم من النحويِّين يقيسون هذا في كلِّ شيء لكثرة ما جاء منه، وهو مذهب أبي الحسن، ورأيُ أبي عليٍّ، وقوم يقصرونه على السماع لأنه شيء وقع موقع غيره فلا يُصار إليه إلا بسماع من العرب ويوقف عنده(٢).

وقال سيبيويه في موضع آخر: "وما يُجْرَى مجرَى فاعل من أسماء الفاعلين: فواعل أَجْرَوْهَا مُجرَى فاعلة حيث كان جَمعُه وكَسَّروه عليه". يريد أن جمع فاعله يعمل في المفعول كعملِ فاعله ثم قال: "فمن ذلك قولهم" هُنَّ حَوَاجُّ بيتَ الله" بنصب بيتَ الله بحواج جمع حاجَّة، وقال أبو كبيرٍ الهذليُّ:

ولقدسَرَيْتُ على الظَّلامِ بِمِغْشَمٍ جَلْدٍ من الفتيانِ غَيْرِ مُثَقَّلِ

مِمَّنْ حَمَلْنَ به وَهُنَّ عَواقِدٌ حُبُكَ النِّطاقِ فعاشَ غيرَ مُهَبَّلِ(٣)

---

(١) المرجع السابق ١/٨٩.

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ٢/٥٢- المطبعة المنيرية بمصر.

(٣) شرح أبيات سيبويه للمرزبان السيرافي ١/٢١٨، وانظر كتاب شرح أشعار هذيل ٣/١٠٧٢.

والشاهد في نصبه " حُبُكَ النطاقِ" بعواقد، وهو جمع عاقدة، وعاقدة تعمل عمل الفعل المضارع لأنها في معناه، فجرى جمعها في العملِ مجراها، ونوَّن عواقد للضرورة(١).

وقال سيبويه في باب بدل المعرفة من النكرة والمعرفة من المعرفة: " وإن شئت قلتَ: مررتُ برَجُلٍ عبدُ الله، كأنه قيل لك: من هو؟ أَوَ ظَنَنْتَ ذاك. ومن البدل أيضاً: مررتُ برجالٍ يقومون: عبدِ الله وزيدٍ وخالدٍ، والرفع جيدٌ" يريد أن الاسم الذي تجعله بدلاً يجوز فيه أن ترفعه بالابتداء، وإنما يحسن في البدل إذا كان البدلُ مثلَه يصلح أن يكون جواباً لِمَنْ أو غير مَنْ مِمَّنْ يقتضيه المعنى واستشهد بقول مالك ابن خالد الهُذَليِّ:

يا مَيَّ إنْ تَفْقِدي قوماً وَلَدْتِهِمِ ... أَو تُخْلَسِيهِمْ فإنَّ الدَّهْرَ خَلاَّسُ

عَمْرٌو وعبدُ مَنافٍ والذي عَهِدَتْ ... بِبَطْنِ عَرْعَرَ آبي الضَّيْمِ عبَّاسُ (٢)

والشاهدُ فيه أنه رفعَ" عمرٌو" وما بعده، ولم يجعلهم بدلاً من " قوماً" . وعباس بدل من الذي. ولو أبدلت فسدَ الكلامُ، لأننا إذا نصبنا الذي، وجب أن ننصب الذي هو بدلٌ منه، فكنا نقول: عبَّاساً.

ويرى المَرْزُبان السيرافي أن الضميرَ في قوله" والذي عَهِدَتْ" يرجع إلى مَيّ، وأنه ترك لفظَ الخطاب، وأخبرَ عنها باللفظ الذي يكون للغائب، يريد: والذي عهدتِ، فلم يستقم له فأَتَى باللفظ الذي للغائب(٢).

وقال سيبويه في موضع آخر: "ويَقول: رأيتُه شابّاً وإنه يومئذٍ يفخر، كأنك قلتَ: رأيتُه شابّاً وهذه حالُه. تقول: هذا ابتداءٌ، ولم تحمل الكلامَ" على رأيت" يعني لم تعطفه على مفعول رأيتُ. "وإن شئتَ حملتَ الكلامَ على الفعل" أي عطفته على ما عمل فيه الفعل. واستشهدَ بقول ساعدة بن جُؤَيَّة الهُذَليِّ:

وما وَجَدَتْ وَجْدي بها أُمُّ واحدٍ ... علَى النَّأْيِ شمطَاءُ القذال عَقِيمُ

رَأَتْهُ على فَوْتِ الشبابِ وأَنها ... تراجِعُ بعلاً مَرَّةً وتَئِيمُ (٣)

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش ٦ / ٧٥ ـ هامش.

(٢) شرح أبيات سيبويه للمرزبان السيرافي ١ / ٣٢٦.

(٣) المرجع السابق ٢ / ١٠٠.

والشاهدُ في البيت الثاني أنه عطف " أنها تراجع " على الفوت. والفوت مجرور بعلَى، كأنه قال: رأته على فوتِ الشباب وعلى أنَها تراجع بعلاً.

وقال سيبويه في الجزاء: " وقد يجوز في الشعر آتِي من يَأْتني " يريدُ أنه يجوز أنْ يكونَ الفعلُ بعدَ الشرط مجزوماً، ويكونَ الفعلُ المتقدِّم يَسُدُّ مَسَدَّ الجواب ثم يُؤَخَّرُ وهو في نية التقديم، وهذا يحسن إذا كان فعلُ الشرطِ ماضياً. فإذا كانت إنْ عاملةً لم يجزْ أن يكون الجوابُ إلا بفعلٍ مجزوم، أو بجملة في أولها الفاء. فإن اضطر شاعرٌ فإن له أن يجعلَ الفعلَ الذي يأتي بعد فعلِ الشرطِ مرفوعاً وينوي التقديم، قال أبو ذؤيب:

مـا حُـمِّلَ البُـخْـتِيُّ عـامَ غَـيـارِه ... عليْـه الوُسُـوقُ بُـرُّها وشَـعـيـرُها

أَتَى قَـرْيَةً كـانَتْ كـثـيراً طَعَامُـهَـا ... كَـرَفْغِ التُّـرابِ كلُّ شيءٍ يَـمـيـرُها

فـقـيـلَ تَحَـمَّلْ فـوقَ طَوْقِكَ إنَّهـا ... مُطَبَّـعَـةٌ مَنْ يأْتِهـا لا يَضِـيـرُها (١)

والشاهدُ فيه أنه رفَع " يضيرها " ونوى به التقديم. كأنه قال: لا يضيرها مَن يأْتِها كذا قدره سيبويه، وأَجاز أَيضاً في هذا البيت وفي نظائره أن تقدر الفاء فيه محذوفة منه، ولا يقدر فيه التقديم، كأنه قال: مَنْ يأتها فهو لا يضيرها، وحذف الفاء والمبتدأ.

قال المرزبان السيرافي: " فأما هذا الوجه فيُوافق عليه، أَعني حذف الفاء، وأما تقديره تقديم الفعل، فإن أبا العباس يمنع منه، ويقول: لو قَدَّرْتَ الفعل متقدماً لصارتْ "منْ" فاعلةً له. ولو كانت "من" فاعلة لخرجت عن أن تكون شرطاً وصارت بمعنَى الذي، وصار الفعل الذي بعدها مرفوعاً فكنت تقول: لا يضيرها من يأتيها.

والجوابُ عما قال أبو العباس أن التقدير في لا يضيرُها أن يكون مقدماً وفيه ضمير فاعل. كأنه قال: لا يضيرها ضَيْرٌ أو لا يضيرها شيء. كما قال تعالى: ﴿ **ثم بَدَا لَهُم من بعد ما رأَوُا الآيات لَيَسْجُنُنَّهُ** ﴾ [يوسف : ٣٥] وفيه وجه آخر، وهو عندي جيد، وهو أن يكون الفاعل في " لا يضيرها " التحمُّل. ويكون تَحَمَّل، قد دَلَّ على المصدر الذي هو فاعل يضيرها. ولو قُدِّرَ فيها أن فاعلها التحمُّل على كل حالٍ صلح إنْ قَدَّرْتَ الفاء محذوفة أو قَدَّرْتَ فيه التقديم "(٢) إلى غير ذلك من أبيات الهذليين التي وردت في كتاب سيبويه مما يكشف عن مدَى عنايته واحتجاجه بالشِّعْرِ الهُذَلِيِّ واستناده إليه.

---

(١) المرجع نفسه ٢ / ١٨١.

(٢) شرح أبيات سيبويه للمرزبان السيرافي ٢ / ١٨٢.

وفي المُفَصَّلِ للزمخشري وشرحه لابن يعيش كثيرٌ من الشواهدِ من أشْعارِ هُذَيْلٍ، وهذا يوضح مدَى عنايةِ النحاةِ بالشِّعْرِ الهُذَلِيِّ في تقرير قواعدِ النحو العربي واستنباط أحكامه.

قال الزمخشريُّ في المفصل -أثناء حديثه عن حذف الفعل في القسم-: "وقد أوقعوا موقعَ الباء بعدَ حذف الفعل الذي أَلْصَقْتَه بالمُقْسَم به أربعة أحرف: الواو والتاء وحرفين من حروف الجرِّ وهما اللام ومِنْ في قولك: لله لا يؤخَّر الأجل، ومن ربِّي لأَفْعَلَنَّ روماً للاختصاص، وفي التاء واللام معنى التعجُّب، وربما جاءت التاءُ في غيرِ التعجب، واللام لا تجيء إلا فيه، وأنشدَ سيبويه لعبد مناة الهذليِّ[1].

لِلَّه يَبْقَى علَى الأيَّامِ ذو حِيَدٍ بِمُشْمَخِرٍّ بـه الظَّيَّانُ والآسُ[2]

والشاهدُ فيه دخولُ اللام على اسم الله في القَسَم بمعنى التعجب، والمعنى أن الأيام تُفْني بمرورها كلَّ حَيٍّ حتى الوعل المتحصِّنُ بشواهقِ الجبال، والحِيَدُ عُقَدٌ في قرون الوعل[3]...إلخ.

وفي مبحث المضاف إليه قال ابن يعيش: اعلم أنه قد جاء عنهم حذف المضاف إليه وهو أقل من حذف المضاف وأبعد قياساً، وذلك لأن الغرض من المضاف إليه التعريف والتخصيص، وإذا كان الغرضُ منه ذلك وحذف كان نقضاً للغرض وتراجعاً عن المقصود. فمن ذلك قولهم "إذٍ وحينئذٍ" وأصله أن "إذ" تكون مضافة إلى جملة إما ابتدائية وإما فعلية، نحو "جئتك إذ الحجاجُ أميرٌ، وإذ قام زيد" وإذا كانت اسماً تضاف إلى جملة لتوضحها وتزيل إبْهامَها، فإذا تقدَّمَتْها جملة فعلية أو اسميه فربما حذفوا الجملة المضاف إليها "إذ" لدلالة الجملة المتقدمة عليها، فجاؤوا بالتنوين بعد "إذ" عوضاً عن المحذوف، وذلك نحو قولهم "إذٍ" من قول الشاعر[4]:

نَهَيْتُكَ عن طِلابِكَ أُمَّ عَمْرٍو بعاقِبةٍ وأَنْتَ إذٍ صَحِيحُ

---

(١) هو لمالك بن خالد الخناعي (انظر شرح أشعار الهذليين ١ / ٤٣٩).

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ٩ / ٩٨.

(٣) المرجع السابق ٩ / ١٠٠.

(٤) هو أبو ذؤيب (شرح أشعار الهذليين ١ / ١٧١).

وأصلُه وأنت إذ نهيتك، فحذف الجملة وعوَّض منها التنوين. ومثله حينئذٍ وساعتئذٍ ويومئذ، والمراد حين إذ كان كذا وكذا، وساعة إذ كان كذا وكذا ويوم إذ كان كذا وكذا. قال الله تعالى: ﴿**إذا زُلْزِلَت الأرضُ زِلزالَها، وأَخْرَجَت الأَرضُ أَثْقالَها وقال الإنسانُ مَالَها، يومئذ تُحَدِّثُ أَخبارَهَا**﴾ [الزلزلة: ١-٤] والتقدير: يوم إذ تزلزلت الأرض وإذ أخرجت الأرض أثقالها، وإذ قال الإنسان، فَحُذفت هذه الجمل بأسرها لدلالة ما تقدَّم من الجملِ وعوض منها التنوين، فدخلَ وهو ساكنٌ وكانت الذالُ قبله ساكنةً فكُسِرت الذالُ لالتقاء الساكنين فقيل يومئذٍ.

وقد علق الشارح في الهامش بقوله: والشاهدُ فيه "إذٍ" حيث جاء بالتنوين عوضاً عن الجملة والأصل" وأنت إذ الأمر على هذه الحال"(١).

وفي مبحث المركبات ذكر ابن يعيش أنَّ العربَ تقول: "وقع الناس في حَيْصَ بَيْصَ إذا وقعوا في فتنة واختلاطٍ من أمرهم لا مخرج لهم منه، وقال: "وهما اسمان رُكِّبا اسماً واحداً وبنيا بناء خمسة عشر، والذي أوْجَبَ بناءَهما تقدير الواو فيهما وذلك أن الأصلَ: وقعوا في حيص وبيص، ثم حذفت الواو إيجازاً وتخفيفاً، والمعنى على العطف فتَضَمَّنَ معنى حرف العطف فَبُنِيَ لذلك كما فعلوا في خمسة عشر وبابه، وحيص: مأخوذ من حاصَ يحيص إذا فَرَّ، يقال: ما عنه محيص، أي: مَهْرَب، وبَيْص: مأخوذ من قولهم: باصَ يَبُوصُ، أي: فاتَ وسبَقَ، لأنه إذا وقَع الاختلاطُ والفتنةُ فمنهم هاربٌ ومنهم فائتُ،ولذلك فسرهما ـ الزمخشريُّ ـ "بفتْنَة تموج بأهلها متأخرين ومتقدمين"، "فالحيصُ التأخُّرُ والهربُ والبوصُ التقدمُ والسَبقُ"(٢) وذكر أن في حيصَ وبيصَ لغات"، قالوا: "حيصَ بيصَ" بالفتح فيهما وهو الكثيرُ المشهورُ، وأنشد الأصمعيُّ لأمية بن أبي عائذ الهُذَليِّ:

قد كنتُ خَرَّاجاً وَلُوجا صَيْرَفَا ... لم تَلْتَحِصْنِي حَيْصَ بَيْصَ لحاصِ

وقالوا "حيصِ بيصِ" بكسرِ الآخر منهما قال الشاعر:

صارت عليه الأرضُ حيصِ بيصِ ... حتى يَلُفَّ عيصَهُ بِعَيْصِي(٣)

ثم ذكر أن هناك لغات أخرى فليرجع إليهما في موضعها(٤).

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش ٣/٢٩.
(٢) المرجع السابق ٤/١١٤.
(٣) المرجع نفسه ٤/١١٥.
(٤) المرجع نفسه ٤/١١٥ وما بعدها.

أما البغدادي في خزانة الأدب فإنه يفيض في شرح الشواهد النحوية. ومن المعروف أن البغدادي في الخزانة يشرح شواهدَ الكافية للرَّضِي، وهو يذكر خلافات العلماء حول تلك الشواهد، ونراه يبسط القولَ حول الشاهد فيذكر القصيدة التي منها الشاهد، أو بعضها ثم يتناولها بالشرح والتحليل، ثم يترجم للشاعرِ صاحب الشاهد ترجمة وافية، مما يعدُّ مصدراً هاماً للغة والأدب.

ولا بأس أن نذكرَ بعض الأمثلة من شواهدِ الشعرِ الهُذَلِيِّ، وسنكتفي بذكرِ الشاهدِ النحوي وذكر آراء العلماء حولَ الشاهد.

ففي الشاهد السابع والستين وهو قولُ أبي ذُؤَيْب:

فَوَرَدْنَ والعَيُّوقُ مَقْعَدَ رابئ الـ ضُرَبَاءِ خلفَ النَّجْمِ لا يَتَتَلَّعُ

نرى الشاهد أن "مَقْعَدَ" ظرف منصوب وقع خبراً عن اسم عين، وهو العيُّوق، وقد استشهدَ به سيبويه على نصب المقعد على الظرفيَّة مع اختصاصه به، تشبيهاً له بالمكان لأن مقعد الرابئ مكانٌ من الأماكن المخصوصة، وجاز عمل الفعل في مثله ولم يجز في " الدار" ونحوه، لأنهم أرادوا به التشبيه والمثل، فكأنهم قالوا: والعيوق من الثريا مكان قعود الرابئ من الضرباء، فحذفوا اختصاراً وجعلوا المقعد ظرفاً لذلك، ولا تقع الدارُ ونحوها هذا الموقع، فلذلك اختلف حكمهما، كذا قال الأعلم.

وقال الإمام المرزوقي: " ومقعد - وإن كان مختصاً في الأمكنة - جائزٌ أن يكون ظرفاً، لانتقاله عن بابه إلى معنى القرب، كما أنَّ مَعْقِدَ الإزار ومقعَد القابلة منقولان إليه وجُعلا ظرفين، وكما أن مناط الثريَّا ومَزْجَرَ الكلب نقلا إلى معنى البعدِ والإهانة وجُعلا ظَرْفين".

وقال السيرافي: " اعلم أن هذا الباب ينقسم قسمين: أحدُهما يراد به تعيين المنزلة من بُعْدٍ أو قُرْبٍ، والآخر يراد به تقدير القرب والبعد. فأما ما كان من ذلك يراد به تعيين الموضع وذكر المحلّ من قُرْبٍ أو بُعْدٍ فإنه يجوز فيه النصبُ على الظرف، والرفعُ على خبرِ الأول تشبيهاً، والأكثر فيه النصب. ويدلّكَ على ذلك أنه تدخل الباء عليه فتقول: هو منِّي بمنزلة، كأنه قال: هو مني استقرَّ بمنزلة - والباء وفي بمعنى واحد - و: هو منِّي بمَزْجَر الكلب: إذا أردتَ هو مُهان مُباعَد. فإذا نصبتَ فالناصب استقرَّ، وإذا رفعت فقلت: هو منِّي مقعدُ القابلة، جعلته بمنزلة قولك: هو قريب كمقعد القابلة،

فإن قلت: هو منِّي مَنَاطُ الثريّا، فكأنك قلت: هو بعيد. وجاز أن تكون هذه الأشياء ظروفاً، لأنهم قد اتسعوا فيما هو من الأماكن أخَصُّ من هذه فجعلوه ظرفاً ونصبوه - كقولهم: ذهبت الشامَ، ودخلت البيتَ - تشبهاً بالأماكنِ المحيطة كخلفَ وقدَّام. قال سيبويه: إنما يجوز هذا فيما تستعمله العربُ ظرفاً من هذه الأماكن، ولا يجوز القياس عليها"(١).

وفي الشاهد الثالث والخمسين بعد المائة - وهو لأمية بن أبي عائذ الهُذَليِّ - في قوله:

ويَأْوِي إلى نِسْوةٍ عُطَّلٍ وشُعْثاً مراضيعَ مِثْل السَّعالِي(٢)

نجد الشاهد أنَّ قوله: " شُعْثاً" منصوب على الترحّم.

وقال سيبويه: وشُعثاً: منصوب بإضمار فعل. قال الأعلم: " لأنه لما قال: نسوةٍ عُطَّلٍ، علم أنهنَّ شُعْثٌ. فكأنه قال: وأذكُرُهُنَّ شُعْثاً، إلا أنه فعلٌ لا يظهر، لأن ما قبله دلَّ عليه فأَغْنَى عن ذكره".

وقال ابن خلف" الشاهدُ أنه نصب شُعْثاً، كأنه حيث قال: إلى نسوة عُطَّل صِرْنَ عنده ممَّن عُلم أنهنَّ شُعث ولكنه ذكر ذلك تشنيعاً لهنّ وتشويهاً. قال الخليل: كأنه قال: أذكرهنَّ شعثاً، إلا أن هذا فعلٌ لا يستعمل إظهاره، لأن ما قبله قد دَلَّ عليه فأَغْنَى عن ذكره، على ما يجري الباب عليه في المدح والذم

وأنشدَهُ سيبويه في موضع آخر أيضاً بجرِّ شعثٍ عطفاً على عُطَّل. وقال: وإن شئت جررت على الصفة، وزعم يونس أن ذلك أكثر، كقوله مررتُ بزيدٍ أخيكَ وصاحبك" ثم قال: " ولو قال: فشُعْث، بالفاء لقَبُح". قال النحاس: ومعنى قوله: لقَبُحَ: لا يجوز. لأن عُطَّلاً وشُعْثاً صفتان ثابتتان معاً في الموصوف، فعطفت إحداهما على الأخرى بالواو، لأن معناها الاجتماع، ولو عطفت بالفاء لم يجزْ لأنه لم يُرِدْ أن الشَّعَثَ حصلَ لهنَّ بعد العطلَ.

---

(١) خزانة الأدب للبغدادي ١ /٤١٨ - ٤١٩ تحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون - دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٧م.

(٢) عُطَّل: جمع عاطل، والعطل بالتحريك: مصدر عطلت المرأة إذا خلا جيدُها من القلائد، فهي عُطل بالضم وعاطل ومعطال (خزانة الأدب ٢ /٤٢٨).

وقد أورد صاحبُ الكشاف هذا البيت عند قوله تعالى: ﴿**وأولُو العلمِ قائماً بالقِسْطِ**﴾ [آل عمران: ١٨] شاهداً على أن المنتصب على المدْح كما يجيء معرفة يجيء نكرة، كما في شعثاً فإنه منصوب على الترحُّم.

وأورده أيضاً ابن الناظم وابنُ هشام في شرح الألفية، شاهداً على أن قوله: شعثاً منصوب بفعل مضمر على الاختصاص، ليبين أن هذا الضرب من النساء أسوأ حالاً من الضرب الأول الذي هو العُطَّل منهنّ. ومثل هذا يسمى نصباً على الترحّم.

قال ابن الحاجب ـ في أماليه ـ: لا يجوز أن يكون شعثاً منصوباً مفعولاً معه لأن شرطه التشريك مع المرفوع في نسبة الفعل. وقد توهّم مَنْ لا عبرةَ به جوازُ: سرتُ والجبلَ، وهو غير جائز، إذ الجبل لا يسير ولو سُلِّم جوازُه فلا بدّ من تأويله، وهو أن يجعل كأنّ كلّ جزء من الجبل سائر، لأنه إذا سار من موضعٍ من نواحي الجبل فذلك مفارقٌ له[١].

وفي الشاهد التاسع والستين بعد المائة وهو لساعدة بن جُؤَيَّة الهذليِّ في قوله:

لَدْنٌ بِهَزّ الكَفِّ يَعْسِلُ مَتْنُهُ فيه كما عَسَلَ الطريقَ الثَّعْلَبُ

نجد الشاهد أن حذف حرف الجر من "الطريق" شاذٌّ. والأصلُ: كما عَسَلَ في الطريقِ الثعلبُ.

قال ابنُ هشام في المغني: "وقول ابن الطَّراوة: إنه ظرفٌ، مردودٌ بأنَّه غير مبهَم، وقولُه: إنه اسم لكلِّ ما يقبل الاستطراقَ فهو مبهَمٌ لصلاحيَته لكلِّ موضع، منازعٌ فيه، بل هو اسم لما هو مستطَرق.

وقال الأعلمُ: استشهد به سيبويه على وصول الفعل إلى الطريق، وهو اسم خاص للموضع المستَطْرَق، بغير واسطة حرف جَرٍّ تشبيهاً بالمكان، لأنَّ الطريق مكان. وهو نحوُ قول العرب: ذهبت الشامَ. إلا أن الطريق أقربُ إلى الإبهام من الشام، لأنَّ الطريق تكون في كلِّ موضعٍ يُسارُ فيه، وليس الشام كذلك[٢].

إلى غير ذلك من الشواهد التي توضح مدى عناية النحاة بالشِّعْرِ الهُذَليِّ في تقريرِ قواعد النحو العربي.

---

(١) خزانة الأدب للبغدادي ٢/٤٢٦ ـ ٤٢٧.

(٢) المرجع السابق ٣/٨٣.

على أن كتاب " الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين" البصريين والكوفيين" لابن الأنباري، فيه الكثيرُ من الشواهد من الشِّعْرِ الهُذَليِّ، يستدل بها البصريون تارةً والكوفيون تارةً أُخرى. وقد يستعين بها ابنُ الأنباري في تأييد ما يذهب إليه. ففي المسالة التاسعة مثلاً ينظر البصريون في الشِّعْرِ الهُذَليِّ ويستشهدون ببيت لمالك بن خالدٍ الخُناعي على ما يذهبون إليه من أنه يجوزُ تقديمُ خبرِ المبتدأ مفرداً كان أو جملة على المبتدأ، فالمفرد نحو : قائم زيد، والجملة نحو: أبوه قائم زيد.

والكوفيون ينكرون ذلك لأن التقديم يؤدي إلى أن تُقَدِّمَ ضمير الاسم على ظاهره فإنك إذا قلت: قائمٌ زيدٌ، كان في قائم ضمير زيد، وكذلك إذا قلت: أبوه قائم زيد، كانت الهاء في "أبوه" ضمير زيد، فقد تقدم ضميرُ الاسم على ظاهره ولا خلاف أن رتبة ضمير الاسم بعد ظاهره، فواجب ألا يجوز تقديمه عليه.

واحتج البصريون بأن قالوا: إنما جوزنا ذلك لأنه قد جاء كثيراً في كلام العرب وأشعارهم، ثم ساقوا نصوصاً من هذا الكلام أردفوها بثلاثة أبياتٍ أحدها قولُ الهُذَليِّ:

فَتىً ما ابْنُ الأَغَرِّ إذا شَتَوْنَا وَحُبَّ الزَّادُ في شَهْرَيْ قُماحِ

وتقديره: ابن الأغر فَتىً ما إذا شتونا[1]. وأما أبو سعيد فقد قال: ما زائدة، وبعضهم ينشد: ما ابْنَ الأَغرِّ، ينصبه على النداء، كأنه قال: يا فَتىً ابْنَ الأَغَرِّ[2].

وفي المسألة الرابعة بعد المائة ذهب الكوفيون إلى أن الاسم الظاهر إذا كانت فيه الألف واللام وصُلِ كما يوصل الذي. وذهب البصريون إلى أنه لا يوصل. أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا ذلك لأنه قد جاء ذلك في كلامهم واستعمالهم، قال الشاعر[3]:

لعَمْري لأَنْتَ البيتُ أُكْرِمُ أَهْلَهُ وأَقْعُدُ في أفيائِه بالأَصائِلِ[4]

---

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري ١ / ٦٦ تحقيقُ شرح الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد ـ المكتبة التجارية بالقاهرة ـ الطبعة الرابعة ١٩٦١م.

(٢) ديوان الهذليين ٣ / ٥.

(٣) هو أبو ذؤيب (ديوان الهذليين ١ / ١٤١).

(٤) ومحل الاستشهاد في البيت قوله: " لأنت البيتُ أكرم أهله" فإن الكوفيين يزعمون أن جملة " أكرم أهله" لا محل لها من الإعراب صلة للبيت، وعندهم أن الاسم الجامد المحلى بأل مثل: البيت والدار والفرس مثل الأسماء الموصولة كالتي والذي وفروعهما في الحاجة إلى الصلة.

فقوله: "لأنت" مبتدأ والبيتُ خبره و " أُكْرِمُ" صلة الخبر الذي هو البيت، وهذا كثير في استعمالهم.

وأما البصريون فقالوا: إنه لا يجوز ذلك واحتجوا بأن الاسمَ الظاهرَ يدلُّ على معنى مخصوص في نفسه، وليس كالذي، لأنه لا يدلُّ على معنى مخصوص إلا بصلة توضحه، لأنه مبهم ، وإذا لم يكن في معناه فلا يجوز أن يُقَام مُقامَه.

ثم التفت ابنُ الأنباري إلى الكوفيين وقال: أما احتجاجهم بقوله:

لعَمْري لأَنْتَ البيتُ أُكْرِمُ أَهْلَهُ وأَقْعُدُ في أفيائِه بالأَصائِلِ

فلا حجة لهم فيه من وجْهَيْن: أحدهما: أن يكون "البيت" خبر المبتدأ الذي هو " أنت" و" أُكْرِمُ" خبر آخر، كما تقول: هذا حلوٌ حامضٌ، فحلو : خبر المبتدأ الذي هو هذا ، وحامض: خبر آخر، والمعنى أنه قد جمع الطَّعْمَيْن. والوجه الثاني: أن يكون " البيت" مبهماً لا يدل على معهود، و " أُكْرِمُ" وصفٌ له، فكأنه قال: لأنت بيتٌ أُكْرِم أهلَهُ، كما يقال: إني لآمر بالرجل غيرك، ومثلك ، وخير منك، فيكون غيرك، ومثلك،وخير منك ـ وهي نكرات ـ أوصافاً للرجل، لأنه لما كان مبهماً لا يدل على معهود. ويحتمل أيضاً أن يكون التقدير فيه: لأنت البيت الذي أُكْرِمُ أهلَهُ، فحذف الاسم الموصول للضرورة(١).

وفي المسألة السابعة والثلاثين عرض الكوفيون والبصريون للحرف، واختلفوا حول جواز دخول الحذف عليه أو عدمه، وابن الأنباري يرى جواز الحذف فيعارض الكوفيين ويقول: وأما قولهم إن الحرفَ لا يدخله الحذف، قلنا، لا نُسَلِّم، بل الحرف يدخله الحذفُ، ألا ترى أنهم قالوا في رُبَّ: رُبَ بالتخفيف. وقد قُرِئَ به، قال الله تعالى: ﴿**رُبَما يَوَدُّ الذين كَفَرُوا لو كانوا مسلمين**﴾ [الحجر : ٢]. وقال الشاعر(٢):

أَزُهَيْرُ إن يَشِبِ القَذالُ فإنَّهُ رُبَ هَيْضَلٍ لَجِبٍ لَفَفْتُ بَهْيضَلِ(٣)

والشاهد في قوله" رُبَ هيضلٍ" حيث جاء برب مخففة بباء واحدة، فحذف إحدى البائَيْن.

---

(١) الإنصاف لابن الأنباري ٢ / ٧٢٢ ـ ٧٢٦.

(٢) هو أبو كبير الهُذَليّ (كتاب شرح أشعار الهذليين ٣ / ١٠٧٠).

(٣) الإنصاف لابن الأنباري ١ / ٢٨٥.

وفي المسألة الرابعة والعشرين ينظر ابنُ الأنباري فيما قاله أبو صخرٍ الهُذَليُّ ويؤيد به رأيه. وخلاصة المسألة أن الكوفيين يذهبون إلى أن " أنْ" المخففة من الثقيلة لا تعمل النصب في الاسم. وذهب البصريون إلى أنها تعمل.

وموضع الاستشهاد هو ما ذكره ابن الأنباري عن البصريين، وما قالوه في " أنْ" التي تخفف مع الفعل، وقال: إن هذه لا تخفف مع الفعل إلا مع أحد أربعة أحرف وهي: لا، وقد وسوف، والسين، كقوله تعالى: ﴿**علم أَنْ سَيَكونُ مِنْكُمْ مَرْضَى**﴾ [المزمل: ٢٠].

وكذلك: علمتُ أنْ سوفَ يخرجُ زيدٌ، وعلمت أنْ قَدْ خرَج عمرٌو، وقال أبو صخرٍ الهُذَليُّ:

فَتَعَلَّمِي أَنْ قَدْ كَلِفْتُ بِكُمْ ... ثم افْعَلِي ما شِئْتِ عَنْ عِلْمِ[1]

ولا تخفف من غير واحدٍ من هذه الأحرف، لأنهم جعلوها عوضاً مما لَحِقَ "أَنْ" من التغيير[2]. يريد أنها تخالف " أَنْ" المخففة التي تعمل النصب في الأسماء أما التي تختص بالأفعال فتميزها هذه الأحرف التي تعقبها والتي بينها البصريون ، فلا محل إذن لاختلاطهما، وكذا تعمل " أَنْ" الخفيفة النصبَ في الأسماء.

وفي المسألة الحادية والثمانين ذهبَ الكوفيون إلى أن "كَما" تأتي بمعنى " كَيْما" وينصبون بها ما بعدها، ولا يمنعون جواز الرفع. وذهبَ البصريون إلى أن" كما" لا تأتي بمعنى : "كيما" ولا يجوزُ نصب ما بعدها بها.

واحتج الكوفيون بأن قالوا: الدليلُ على أن "كما" تكون بمعنى " كَيْما" وأن الفعل ينصبُ بها، أنه قد جاء ذلك كثيراً في كلامهم، قال الشاعر وهو صخرُ الغَيِّ الهذليُّ:

جاءَتْ كَبيرٌ كَمَا أُخَفِّرَها ... والقومُ صِيدٌ كأَنَّهُمْ رَمِدُوا

---

(١) والشاهد في البيت قوله: " فتعلمي أن قد كلفت" حيث جاء بأن المخففة من الثقيلة واسمها ضمير شأن محذوف، وخبرها جملة" كلفت بكم" ولكون هذه الجملة فعلية فعلها متصرف غير دعاء فصل بينها وبين أَنْ بـ (قَدْ)، وتقدير الكلام: فتعلمي أنه: " أي الحال والشأن" قد كلفت بكم.

(٢) الإنصاف لابن الأنباري ١ / ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

أراد " كيما أُخَفِّرَها" ولهذا المعنى انتصب "أخفرَها"(١) ثم استشهدوا بأبيات أخرى.

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا: إنه لا يجوز النصب بها، لأن الكاف في "كما" كاف التشبيه أُدخلت عليها" ما" وجعلا بمنزلة حرف واحد كما أدخلت على رُبَّ وجعلا بمنزلة حرفٍ واحد، ويليها الفعلُ كربَّما، وكما أنهم لا ينصبون الفعل بعد ربما فكذلك ها هنا.

ثم التفت ابن الأنباري إلى الكوفيين وقال: أما البيت فلا حجة فيه لأنه روى: كما أُخَفِّرُها" بالرفع، لأن المعنى جاءت كما أَجيئُها، وكذلك رواه الفَرّاءُ من أَصحابكم، واختار الرفعَ في هذا البيت، وهو الروايةُ الصحيحة. ثم ذكر أنه لو صَحَّ ما رَوَوْهُ من البيت السابق وغيره من الأبيات التي استشهدوا بها على مقتضى مذهبهم، فلا يخرج ذلك من حدّ الشذوذ والقلة ولا يكون فيه حجة"(٢).

وفي المسألة الثانية والثلاثين يكون أحد أبيات أبي صخرٍ الهُذَليِّ موضع نزاع بين الكوفيين في جانب والبصريين وابن الأنباري في جانب آخر. وخلاصة المسألة أن الكوفيين ذهبوا إلى أن الفعل الماضي يجوز أن يقع حالاً، وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز أن يقع حالاً. وأجمعوا على أنه إذا كانت معه" قد" أو كان وصفاً لمحذوف فإنه يجوز أن يقع حالاً.

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: الدليلُ على أنه يجوز أن يقعَ الفعلُ الماضي حالاً النقل والقياس. أما النقلُ فقد قال الله تعالى: ﴿**أو جاؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورهم**﴾ [النساء: ٩٠]. فحصرت: فعل ماض، وهو في موضع الحال، وتقديره: حَصِرَةً صدورهم والدليل على صحة هذا التقدير قراءة من قرأ: " أو جاؤوكم حَصِرَةً صدورهم" وهي قراءة الحسنِ البصري ويعقوب الحضرميِّ والمفضل عن عاصم. وقال أبو صخرٍ الهذليُّ:

---

(١) وتفصيل الشاهد في البيت أن قوله: " كما أخفِّرَها" فإن الكوفيين ذهبوا إلى أن "كما" بمعنى كيما وهي مؤلفة من كي الناصبة للمضارع وما الزائدة، ويجوز أن تكف "ما" الزائدة كي عن عمل النصب فيرتفعُ المضارع بعدها، ويجوز ألا تكفها فينتصب المضارع بكي كما في هذا البيت.

(٢) الإنصاف لابن الأنباري ٢ / ٥٨٥ - ٥٩٢.

وإنِّي لتَعْـروني لذِكْـراكِ نُفْضَـةٌ كما انتفضَ العصفورُ بَلَّلَهُ القَطْرُ

فبلله: فعل ماض، وهو في موضع الحال فدل على جوازه[1].

ويقف ابنُ الأنباري مع البصريين ويقول عن بيت أبي صخرٍ: إنه جاز فيه ذلك لأن التقدير فيه: قدبَلَّلَهُ ا لقطرُ، إلا أنه حذف لضرورة الشعر، فلما كانت" قد" مقدرة تنزلت منزلة الملفوظ بها، ولا خلاف أنه إذا كان مع الفعل الماضي" قد" فإنه يجوز أن يقع حالاً[2].

وهكذا يتضح بعد هذا العرض مدى عناية النحويين بالشعرِ الهُذَلِيِّ، وذلك لأن هذه القبيلة كانت قبيلةً بادية، وبعيدة عن الاختلاط، فسلم لسانُها من اللحن والفساد، وامتازت بالفصاحة وسلامة الطبع والسليقة، فلا عجب إذن أن يهتم النحويونَ بالشعرِ الهذلي حيث يستشهدون به دائماً على قواعدِ النحو العربي وذلك واضح في كلِّ مصادر النحو، وفي مختلف القضايا النحوية التي بحثها العلماء.

ومن هنا نستطيع أنْ نقرِّرَ ـ في غير ضعفٍ ولا تردد ـ أن الشِّعْرَ الهُذَلِيَّ كان ذا أثرٍ بالغ في علوم العربية وفنونها، وأنه كان نبعاً ثراراً ارتشفت من رحيقه، ونالت من أفاويقه، واستَقَتْ من شوابه حتى طال باعُها، وبَسُقَ فرعُها،وتَهَدَّلتْ شهرتُها المثمرة في كل جوانب الحياة.

وإن الأدب العربي واللغة العربية وقوانينها لمدينة كلَّ الدينونة لهذه القبيلة التي حافظت على العربية الصَّفيَّة النقيَّة ونشَرْت دراريها في سماء الشِّعْرِ العربي الذي حمل الرسالةَ، وأدى الأمانة، وسجَّلَ تراث أمتنا المجيدة في أروع وأبدع الصفحات.

---

(١) تفصيل الشاهد في البيت في قوله: "بلله القطر" حيث وقعت الجملة الفعلية التي فعلها ماض حالاً من غير أن يقرن الفعل بقد، والكوفيون يستدلون بهذا البيت وما أشبهه على أنه يجوز أن يقع الفعل الماضي حالاً من غير أن يقرن بقد، فأما البصريون فيزعمون أنه لا بُدّ حينئذ من اقتران الفعلِ الماضي بقد في اللفظ أو في التقدير، وعلى هذا تكون" قد" مقدرة هاهنا قبل الفعل، والحق، والإنصاف أن الاستدلال يجب أن يكون بالكلام الوارد عن العرب. وقد رأينا أن فصحاءهم يجيئون بالفعل الماضي حالاً غير مقرون بقد، فأما التقدير فلا دليل عليه، (انظر هامش الإنصاف ١/٢٥٣ للمحقق الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد).

(٢) الإنصاف لابن الأنباري ١/٢٥٢ ـ ٢٥٧.

وأننا لنَعْتَزُّ في فخار بما خلفه هؤلاء الشعراء الغُيُر من كلمات وألفاظ، وما صاغوا من أساليب وتراكيب ترفع من لغتهم الهامَ وتُعْلِي المقامَ، وتحفظ لهذه القبيلة العظيمة تاريخها الأَبْلَج في سجل الخالدين.

والحمد لله أولاً وأخيراً، وخيرُ الصلاة وأفضل السلام على سيد البلغاء وإمام الفصحاء، محمد بن عبد الله سيّد الرسلِ والأنبياء وعلى آله وأصحابه وتابعيه.

الكلمة الخاتمة والعبارة المتمة

وبعد فلقد انتهيتُ بفضل الله وجميل عونه من هذه السياحة الأدبية الممتعة، والاستراحة الدراسية الممرعة، التي هيأت لنا مسارات بعيدة المدَى في حدائق الأدب الغَنِّ، ورياضة الفيح، حيث تعرفنا إلى هؤلاء العرب الأَقحاح الذين عزفوا على قيثارِ الأدب الرائد أجزلَ الشِّعْرِ وأجملَه، وضربوا على الأعواد الناغمة عديداً من الألحان الراجزة أو الذبذبات الزافنة من شعرِ القَصيد.

ولست أَعْدُو قَدْري، ولا أُرْهِصُ في أمري إذا كان إحساسي الداخلي يتفاءل بما قدمت من مجهودٍ، أو بذلتُ من جهودٍ في دراسة الشِّعْرِ الهُذليِّ وإلقاء الأضواء الكاشفة على مكانة هذه القبيلة الشاعرة التي امتازت بالفصاحة وتفردَتْ بالبلاغة، وعلى شعرائها المُفْلِقين الأفذاذ وأغراضهم الشعرية، وفنونهم الأدبية التي تناولت كلَّ شؤون الحياة في محيطهم الخاصِّ، وكذلك على خصائص شِعْرِهم وسماته وميزاته، ومدى تأثيره في محيط الأدب العربي من قريبٍ أو من بعيدٍ.

ولقد تتخلج مشاعري عن رضا النَّفْسِ، ويَنْبلج نبضي عن هدوء الحسِّ، وطمأنينة الضمير حين أستعرضُ موضوعات هذه الرسالة، وأستقرئ صفحاتها البيض التي أوقدت المصابيح حولَ هذا التراث القبلي الذي أبت الأقدار إلا بقاءه وحدَه من بين ألْوان هذا النوع الأدبي الخاصِّ بعد أن عدا الزمان على ما كان للقبائل الأخر من أصداء الوجدان.

ولو نظرت إلى هذه الدراسة الواسعة بميزان التقويم والتقدير لوجدتها ثقيلةَ الميزانِ، شامخة البنيان، قويةَ الأركان، بما فتحت من أبواب الدراسات التي لم تكن في الحسبان قبلَ الشروع في هذا البحث والخوض في غماره، والتتبع لآثاره، خاصَّة عندما حاولت التعرف إلى مدَى تأثير الشِّعْرِ الهُذلي في المحيط الأدبي العربي، واقتضاني ذلك اطلاعاً واسعاً على كثيرٍ من الدراسات القديمة والحديثة التي كشفت لي جوانب القوة التي أَثَّرَتْ في الشِّعْرِ العربي من هذه الكُوَّة الهذلية، والتي أفاءت على معالم النقدِ الأدبي، وعلوم اللغة والنحو والتفسير وغيرها الشيء الكثير.

ومن هنا شُقَّ عليّ الاضطلاع بتلك المهمة التي تنوء بها كلُّ همةٍ، وتحاول أن تبتعدَ عنها بشتى الوسائل والمعاذير.

ولكن شغفي الشديد بالعربية، ووَلوعي البالغ بشعرِ الجاهلية، وغرامي الواله بأدب هذه القبيلة الأصيلة هوَّن عليَّ المشقة، وقرّب إليّ الشُّقَّة، وحبَّبَ إليَّ العمل لتحقيق الأمل في إخراج هذه الدراسة إلى حيِّز الوجود.

والواقع أن الشِّعْرَ الهُذَليَّ يُعَدُّ بحقٍّ مرآة الحياة العربية، والصورة الصادقة لعادات العرب وطبائعهم، وتقاليدهم ومثلهم، ويُعَدُّ أَرْوَعَ الرسوم، وأبدعَ الوسوم، وأَلمعَ الألوان التي صُبَّت فيها المعاني الرقيقة، والمفاهيم الدقيقة، واللوازم الصادقة، والدلالات الناطقة بالقيم الفنية العالية التي جعلت من هذا الشعرِ أدباً ملهماً،وأسلوباً موحياً يمثل الذّروة ويعتلي القمةَ في مجالات الشِّعْرِ العربي الأَصيل.

ولقد أصبح ذلك الشِّعْرُ مجالَ الاقتداء والاحتذاء لدى شعراء الأمويين والعباسيين، وغدا صورة مُثْلَى للشعرِ العربي البعيد النِّيق، فحاول الشعراءُ تقليده ومحاكاته، وسعوا إلى الرَّشْفِ من رحيقه، والنَّيْلِ من أفاويقه، وظهرَ أثرُه واضحاً جدّ الوضوح في شعرِ العصور المتأخرة، وظلَّ صاحبَ السلطان الأكبرِ على نفوس قارئيه ومستمعيه،وذلك لما امتاز به من فصاحة، وما بدا عليه من صباحة، وما استقر فيه من أصالة، وما عرف به من جمال وروعة وقوة تأثير، إلى رقّة صورة، ودقة معانيه، ونضج فنه وسحر لحنه وأسر موسيقاه.

وسأعرض بإيجاز مركَّزٍ سريعٍ خلاصةً لهذا البحث الواسع الأرجاء، ملخصاً أبوابه وفصوله، مشيراً إلى المواطن التي كشفتُ فيها عن خبيئ، أو وصلتُ منها إلى جديدٍ، أو عرفتُ من حولها بعض النتائج التي أدى إليها هذا البحث الدارس الدقيق.

وهذه الرسالةُ تقعُ في خمسةِ أبواب مترابطة الوشائج، متماسكة الأمشاج، شديدة الاندماج والازدواج إلى مدى جدّ بعيد.

أما الباب الأول:

فهو: " الجاهليةُ والشعرُ الجاهلي" وهو في الواقع تمهيدٌ للدخول في موضوع الرسالة، ويتألف من خمسة فصول:

أولها: "الجاهليةُ في أرض العروبة" وقد تحدَّثتُ فيه عن الجزيرة العربية وأقسامها الجغرافية، وعن طبقاتِ العرب، ومعنى كلمة" الجاهلية" وآراء العلماء في ذلك، ثم

رجحتُ أن الجاهلية الأولى هي ما وراء الزمن الذي كان قبل بعثة محمد بن عبد الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بحوالي ١٥٠ ـ ٢٠٠ سنة على أكثر تقدير.

وفي الفصل الثاني: " صورة المجتمع الجاهلي" ألقيتُ الأضواء على حياة العرب في الجاهلية، حضرهم وبدوهم، وعلى النظام القبلي الذي كان يسودهم اجتماعياً، كما تحدَّثْتُ عن آفات ذلك المجتمع ونقائصه، ودلفتُ إلى ذكرِ صفاتهم الكريمة وآدابهم القويمة، وسردتُ ما عُرِفَ عن معارفهم وانطباعاتهم الدينية، وشيوع الوثنية بينهم إلى درجة شديدة الانتشار.

وفي الفصل الثالث: "الوضع السياسي لأهل الجزيرة" تكلمتُ فيه عن أشهرِ الدول القديمة التي قامت في الجنوب وهي المعينيَّة والسبئيَّة والحميريَّة، ثم عن أبرز الإمارات التي قامت في الشمال وهي المناذرة والغساسنة، ثم عن نظام الحكم في مكَّةَ، والنظام القبلي الذي كان سائداً في الجزيرة، حيث كان منتشراً بين أهلِ الحضر والبادية، لأنه نظام وليد لبيئتهم التي فرضته على السكان في كلِّ مكان، وكان خيرَ نموذج للحياة السياسية لديهم.

وفي الفصل الرابع: " الشعر والشعراء في ظلال الجاهلية" تحدَّثْتُ عن مكانة الشعرِ ومنزلة الشعراء عند العرب، وكيف كان لكلِّ قبيلةٍ شاعرٌ أو أكثر، يناضل عن أحسابها، ويشيد بمفاخرها، ويذبُّ عن حريمها، ويدافع عن حرمتها، ثم تحدَّثْتُ عن حظِّ القبائل من الشِّعْرِ، وعن نشأته بينهم وآراء العلماء في ذلك، ووصلت إلى استحالة أن يكون هذا الفنُّ قد ولد كاملاً، أو خُلِقَ تاماً في القرنين السابقين للبعثة، وأبرهت على أنه ـ حتماً ـ قد مرَّ في طريق التدرج، وسارَ في مسلك الترقي، وأنه سار وئيداً حتى صار وليداً، ووصل إلى هذه الصورة الكاملة التي وجدناه عليها في المحيط الأدبي العتيق. كذلك تحدثت عن التكسب بالشعر، وعن تعددِ الموضوعات المقول به في القصيدة العربية، وعن غلوِّ بعض النقاد الذين يشترطون الوحدَةَ العضوية أو الموضوعية في القصيدة على الأنماط التي نراها مستعارةً من الأدب الفرنجي في العصرِ الحديث. ثم تحدَّثْتُ عن موقف الإسلام من الشِّعْرِ حيث شجَّعَه ودَعَمَّهُ ووجهَّه، وكيف تأثرَ بالقرآن الكريم نضارة أسلوبٍ وغضارة تركيبٍ، وحسن تأليفٍ، وجمال تصفيفٍ، وبعداً عن مواطن الوحشية المنفرة، وغرابة الألفاظ والتراكيب.

وفي الفصل الخامس: الشعرُ الجاهلي ومدَى وثاقته" عرضت لقضية الانتحال التي جعلَ منها الباحثون لحناً مميزاً يخبون فيه ويضعون، ويقولون ويتقولون، وبينت أنها كانت واضحة عند القدماء تمام الوضوح، غير أن مرجليوث المستشرق الإنجليزي قام بثورة عاصفة، ذات رعود قاصفة، يزعم فيها أنَّ الشِّعْرَ الجاهلي كلّه موضوعٌ مَنْحولٌ، وقلّدَه في ذلك كلُّ مُراء مَدْخول، أمثال الدكتور طه حسين الذي تبنى هذا الإرجاف، وتزعم ذلك الإيجاف، ونقل هذا الهراء والغثاء في كتابه الموتور "في الشعر الجاهلي" الذي أثار ثائرة العلماء والأدباء في العشرينات من سِني القرنِ العشرين.

وقد ناقشتُ هذه الآراء، وَذَرَوْتُهَا ذرو الهباء، وانتهيت إلى أن هناك شعراً قليلاً مُنْتَحَلاً إلى جانب الكثرة الكاثرة مما رواه الثقاتُ الأثبات من الرواة والعلماء، وأكَّدهُ المحققون من النّقّاد، كما وثقه أنّ أمةً بأسرِها لا يمكن أن تُجْمِعَ على الأكاذيب والانتحالات، خاصَّةً إذا كان أبناؤها من الخلصاء الأصفياء، الداعين بدعوة السماء.

وأما الباب الثاني:

"هذيل ومكانها فوق البساط العربي" فقد تحدَّثْتُ عنه في أربعة فصول:

وقد تناولت في الفصل الأول: " موطنَ هُذَيْل وحدوده" الحديث عن قبيلة هُذَيْلٍ التي كانت تَسكن السَّرَوات وجبل غَزْوانَ قربَ الطائف من بلاد الحجاز، وبَيَّنتُ أنها كانت بوجه عام قبيلة بادية ـ وإن كان بعضها قد نزلَ ببعض القُرَى ـ كما أثبتُّ أنها انتشرت بعدَ الإسلام في جوانب الأرض، واشتركوا في الفتوحات الإسلامية، وأن كثرتهم الساحقة في زماننا هذا لا تزال تسكن بين مكة والمدينة في سَراة هُذَيْلٍ وغيرها من الأماكن القريبة من مكَّةَ.

وفي الفصل الثاني: "نسبُها أصولاً وفروعاً" تكلمت عن هذه القبيلة مثبتاً أنها من عربِ الشمال العدنانيين، كما تحدث عن أصولها التي تنتسب إلى أبيها هُذَيْل بن مُدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان، وأنها تلتقي مع رسول الله ﷺ في جده الخامس عشر" مدركة بن إلياس" ثم تكلَّمْتُ عن فروع هُذَيْلٍ وبطونها، وأن كثيراً من الصحابة والتابعين والعلماء الجهابذة والأدباء والشعراء الأفذاذ، وعديداً من رجالات العرب وأعيانهم الذين خلدوا أكرمَ الذكريات، كانوا جميعاً من هذا الجِذْمِ، ومنتسَبين إلى ذلك النِّجارِ.

وفي الفصل الثالث: " مكانتها الاجتماعية والأدبية" تحدثت عن حياة القبيلة الاجتماعية، وعصبيَّتهم الشديدة، والتماسك بين القرابات فيهم، ثم عن مركزها الأدبي بين القبائل، وما كان لها من نصيب موفور في دولة الشِّعْرِ والأدب، حيث كثُرَ شعراؤها كثرةً مذهلةً، وتضاعف شِعْرُهم حتى احتلوا المركزَ الأولَ بين القبائل العربية في ميدان الشعر، ولذلك كانت تتمتع بمركزٍ مرموق، ومكان موموق بين القبائل العربية، ولهذا كانت تسابق غيرَها من القبائل في الدفاع عن حِمَى العروبة والذود عما لها من حياضٍ، فوق ما تستطيع تقديمه لقومها من خدمات.

ولقد كانت هُذَيْلٌ مشهورةً بكثرة الحروب والأيام مع جيرانها الأدنَيْن من القبائل كثرةً لفتت أنظارَ العلماء والنقاد، حيث قرؤوا سِجِلَّ شِعْرِهم الذي حوى تلك الأيام وتضمن رثاء أبطالهم، والحديث عن قوادهم وانتصاراتهم ومنجزاتهم في سبيل الانتقام والأخذ بالثأر. وقد أَلْمَعتُ إلى ذلك في إيجازٍ غير مُخِلٍّ، ثم تحدثت عن حياتها الدينية، وانطباعاتها الوثنية التي اشتهرت بين الناس.

وفي الفصل الرابع: "مع توهج الجاهلية وتموج الإسلام" تحدثت عن عدواتها - كغيرها من القبائل - لرسول الله صلوات الله عليه وسلامه، وكيف كانت تتربص به الدوائر، وتهتبل الفرصَ لُتْنزلَ بالمسلمين الهوان، كما فعل بنو لحْيان حين قاموا بحركة ضدَّ المسلمين بعدَ "أُحُدٍ" وكذلك يوم "الرَّجيع" الذي وقفت هُذَيْلٌ فيه موقفاً معادياً للإسلام، وكما فعلوا يوم فتح "مكة"، ويوم غزوة "حنين" وقد سدروا في غيِّهم حتى أراد اللهُ تبارك وتعالى هدايتهم للإسلام فدخلوا فيه أفواجاً وحَسُنَ إسلامُهم، وكان لرجالاتهم في الجهادِ والنضال مواقفُ لا ينساها التاريخُ خاصةً زمن الخلفاء الراشدين، ثم اتسع نشاطُهم كثيراً أيام الفتوحات، وكان لهم موقف جدّ كريم.

وأما الباب الثالث:

"الصور المميزة لحياة هُذَيْل" فقد عرضت الحديث عنه في أربعة فصول:

وفي الفصل الأول: " بين أفناء البادية" تحدَّثْتُ عن هذه القبيلة البادية، وذكرتُ أنها كانت محافظة لا تختلط بغيرها، وأن تشبيهات شعرائها وصورهم الشعرّية كانت مستمدة من صميم البادية، كما بينتُ أن هذه الحياة هي التي ضمنَتْ لهذه القبيلة تلك السليقة اللغوّية، إلى الفصاحة البدوية التي دفعت الأدباء إلى الحديث عن

شِعْرِهم في إكبار وتقدير، وحركت علماء اللغة والمعاجم إلى العناية بهذا الشعر، وتسجيله في الأضابير.

وفي الفصل الثاني: "مصادر الثروات فيها" تحدَّثْتُ عن هذه المصادر عند العرب عامةً، وبينتُ أنَّ جماهيرهم كانوا يعملون في الرعي، وإن كان بعضهم ذا شهرة بالتجارة أو الصناعة أو الزراعة أو غير هذه وتلك من وظائف الحياة، ثم أثبتُّ أن هُذَيْلاً لم يكن لها في هذه الوظائف ناقة ولا جمل، لأنها كانت قبيلةً باديةً تحيا على رعي الآبال والأغنام، وتمارس النشاط في الغزو والغارات، وتقوم بالصيد في بعض الحالات، كما أشرتُ إلى أن لهذه القبيلة شهرةً واسعةً في تربية النحل واشتيار العسلِ.

وفي الفصل الثالث: " على نجاد الاستقرار وفي وهاد الانتشار" تحدثت عن صعاليكِ هُذَيْل وذؤبانهم الذين كثروا فيها، وزادوا بين بنيها إلى درجة تلفت الأَنظارَ.

ولئن كان بعضُ الهذليين قد عرفَ الاستقرارَ، وسكن القرى باستمرار، إنَّ أغلَبهم كانوا بداةً جفاةً يتنقلون بين أفناء البادية طلباً للكلأ والمَرْعَى، وكثيراً ما يكون ذلك في البحث عن الماء، أما صعاليكهم فلم يعرفوا الاستقرار في مكان، بل انتشروا في شتَّى البقاع بين جميع الأصقاع لاسيما في البادية، يبحثون عن الأرزاق ويطلبون الإغارة للسلبِ والنهبِ في كلِّ مجال.

ومن أبرز سمات الصعاليك الأدبية حديثهم الشعري عن مغامراتهم وفرارهم من أعدائهم، وسرعة عَدْوِهم بشكلٍ لا تعرفه العاداتُ المألوفة، كذلك كانوا يتحدثون عن سلاحهم ويصفونه، ويتكلمون عن تربصهم لأعدائهم فوق المراقب، ثم عن فقرهم وعوزهم وتشردهم بين الوهاد والنجاد، وقد قدمتُ عن ذلك كثيراً من الصورِ والرسوم.

وفي الفصل الرابع: "بلاغتها وفصاحتها" كتبتُ عما اشتهرت به هذه القبيلة من سلامة لغةٍ وحُسْنِ أداء، وقوة ألحانٍ وروعة بيانٍ، وأنها في ذلك كانت تفوق كثيراً من القبائل إلى حدٍّ جدٍّ بعيد.

ولقد ذكرت ما قرره العلماء من أن القبائلَ التي كانت في عزلة عن سواها قد فصحت أَلْسِنَتُها، واستقام بيانُها، وقويت لغتُها، ولهذا كان كثير من العرب يرسلون أبناءهم إلى بادية هُذَيْلٍ ليستقوا الفصاحة من نبعها، وينطقوا اللغة على طبعها،

ويرشفوا البيان من منبعه، ويسيروا بالأدب في مَهْيَعِه، كما فعل الإمام الشافعيُّ رضي الله عنه حين أقام في هُذَيْل رَدَحاً من الزمان.

ثم تحدثْتُ عن لهجة هُذَيْلٍ التي كانت من اللهجات العربية الفصيحة، ثم عرضت لاختلاف العلماء في تفسير قول الرسول ﷺ : "أُنزلَ القرآنُ على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه" وبينتُ أنه لا تناقض بين السعة والتيسير وبين حقيقة العدد حين ذكروا أنه سبعُ لغاتٍ منها لغةُ هُذَيْلٍ، التي يبرز هنا دورها البالغ في البلاغة وفصاحة اللسان.

وأما الباب الرابع:

"شعر هذيل وشعراؤها" فقد قسمته إلى أربعة فصول ضخمة استوعبت كثيراً من الدراسات الهامة.

وقد تحدَّثْتُ في الفصل الأول: "دواوين الشِّعْرِ الهُذَليّ ورواته" عن حركة التدوين في العصر العباسي ونشاط العلماء والأدباء في رواية الشعر وجمع الدواوين للأفراد وللقبائل في كُتُبٍ خاصَّة، ... كما فعلَ السُّكَّريُّ وأبو عمرو الشيبانيُّ وغيرُهما في جَمْعِ أشعارِ القبائل التي بلغت ما يُنيفُ على ستين قبيلة، ومن المؤسف المُؤْسِي أنه لم يصلنا من هذه الدواوين إلا أسماؤها وأسماء جامعيها، وأن صروف الزمان لم تسمحْ بأن يصلَ إلينا من تلك الكنوز والذخائر الشعرية إلا ديوان واحد فقط، هو ديوان هُذَيْلٍ.

وقد تحدَّثْتُ عن دواوين الشِّعْرِ الهُذَليِّ مخطوطة ومطبوعة في أوربة أو مصر وبالأخص عن ديوان الهذليين الذي أخرجته دار الكتب المصرية، وعن كتاب "شرح أشعار الهذليين" الذي حققه الأستاذ عبد الستار أحمد فراج - بمراجعة الأستاذ محمود محمد شاكر - الذي انتفع بكلِّ الجهود التي بُذِلَتْ قبلَه فجمع كلَّ المطبوعات في كتابٍ واحد.

وجدير بالذكر أن هذا الكتاب يشمل كلَّ أشعار الهذليين التي طبعت. كذلك تكلمت عن رواة الشِّعْرِ الهذليِّ وعن دقة السُّكَّريِّ في الرواية، ومبالغته في التحرّي والدقة، ثم ترجمتُ لكلٍّ من الشيباني والأَصمعي وابن الأعرابي، والسُّكَّريِّ والحُلواني والرُّمَّاني ترجمةً موجزة مكتفياً بهؤلاء الستة لأنهم أشهرُ رواة الشِّعْرِ الهُذَليِّ.

وفي الفصل الثاني: "أغراض الشعرِ الهذليِّ" تحدثت عن أشهر الفنون والأغراض الشعرية عند هُذَيْلٍ، وبينتُ أن شعراءها قد سجَّلوا في أشعارهم جميعَ الصورِ المرئية والرسوم المشاهدة، وما وقعت عليه أعينُهم من ظواهر الوجود حولهم، ولذلك كان شعرهم سجلاً صادقاً ورائعاً، حيث أبرز مجدَ قبيلتهم ورفع شأنها بين القبائل إلى أعنان السماء.

ومن المؤكدأنه كان نفحةً ناصعةً لامعةً، وفَوحةً مشرقةً رائعةً في ديوان الشِّعْرِ العربي الكريم النِّجار.

وقد تناولت الحديث - في إفاضة - عن أشهر أغراض الشِّعْرِ الهُذَلِيِّ وأبرز فنونه، وهي الغزلُ والفخرُ ووصفُ الحيوان والحماسة والرثاء، ثم المدح والهجاء، ولقد كان لهم في فَنِّ الرثاء شهرةٌ خاصَّةٌ، كما كان لهم في وصف الحيوان و الحماسة طَوْلٌ أَيُّ طَوْلٍ. وقد بينتُ طبيعة كلِّ فنٍّ وميزاته، ووازنت بين شِعْرِ الشعراء في الفنِّ الواحد، ثم عَمَدْتُ إلى النصوص المعبرة الموحية لشعراء شتَّى فعرضتُها عرضاً فنياً تحليلياً يرضي الذوقَ الأدبي الذواقة في مجال النقد الأدبي العميق.

ولعل القارئ الكريم يلاحظ أنني لم أقف عند النماذج الشائعة كثيراً إذ الشيوع والذيوع ليسا دليل الجودة والامتياز، ولا برهاناً على أنه أعلى وأجلى من سواه، ففي أشعار هُذَيْلٍ كثيرٌ من الشعرِ الجيد الأصيلِ لشعراء ما كان لأسمائهم حظٌّ من الذيوع والانتشار.

ومن الجدير بالذكر هنا أن أقرر أنني كنتُ أشرحُ هذا الشعرَ وأحلِّلَه ما أمكن علماً بأنَّ ذلك فيه قدر من المشقة تنوء به الجبال، ولهذا لم يتعرض أحدٌ قَبْلِي لشرح وتحليل هذه الأشعار تحليلاً فنياً أدبياً - بعد شرح ألفاظها لغوياً - ثم إبراز ما فيها من الروعةِ والجمالِ والجلالِ.

ومعروف أن شرحَ السُّكريِّ لأشْعار هُذَيْل يقتصر على شرحِ الكلمة الغامضة فقط، وقد يُغْفِلُ كثيراً شرح بعض هذه الكلمات إلا أنه يهتم بذكر خلافات الرواة في رواية البيت أو في ترتيب الأبيات.

وقد كَلَّفَني هذا العمل الشاق كثيراً من الجهد والبذل والتعب والوصب، غير أنه أرضى نفسي، وهدَّأَ حِسيِّ، وأشعرني بكثير من السعادة والهناءة والسكون، لأن تناولي لهذه الأشعار جاء على خير وجهٍ يُؤَمَّل، أو صفة دراسية مرتجاة.

وفي الفصل الثالث: " خصائص الشِّعْرِ الهُذَليِّ وميزاته" تكلمت عن أبرز السمات والخصائص التي يمتاز بها الشِّعْرُ الهُذَليُّ ، وتحدَّثْتُ عن بِنْيَةِ القصيدة وتزواجها بين الطول والقصر، ثم عن شيوع الرجزِ في أشعار الهُذَليين شيوعاً واسعاً، وهي ظاهرة تلفتُ النظرَ، وعقيدتي أن سبب ذلك هو مناسبة الرجز لمقتضيات الارتجال، ثم السرعة الفنية التي يتطلبها الحال، كذلك تحدثت عن مطالع القصائد عندهم، وكيف كانوا ذوي قدرة خارقة في إجادة الانتقال من معنى إلى معنى آخر في مُطَوَّلاتهم الأدبية، كما كانوا يحسنون الانتهاء من القصيدة على وضع هادئ رزين، وهذا كَلُّه أفاد الشعرَ الهُذَليَّ جمالاً وَحُسْناً، وأورثة زَفناً وفَتْناً، وميّزه عن سائرِ الشعرِ المعروفِ آنذاك.

والدارسُ لهذا الشعر يخرج - كما خرجتُ - بأنه ذو طابَع بدويٍّ واضح المعالم ظاهر السمات، وأنه مرآةٌ حقيقيةٌ لحياتهم الواقعية تنعكس عليها مظاهرُها البادية تمام الانعكاس، ولهذا جاء ممثلاً لبيئتهم خير تمثيل، ومصوّراً لجوانبها أتم تصوير، إلى درجة أنك لو قرأت منه قطعة أو قصيدة لشممتَ ريحَ البادية من أبعد المسافات، وتذوقتَ طعمَها من أقرب المذاقات.

وقد لاحظتُ أنهم لم يتركوا مظهراً من مظاهر الحياة الصحراوية التي وقعت عليها أبصارُهم إلا سَجَّلوه في شعرِهم وصوره في أدبهم، ورسموه بأسلوبهم الذي يتسم بالبداوة، ويتهزهز على سيفِ الصحراء.

ولقد تعدى هذا الانطباع البدويُّ إلى اللغة نفسها، وإلى طرائق استعمالها، فقد ارتبطَتْ لغتُهم بتلك البيئة في تصويراتها البلاغية، وألوانها المجازية، وتشبيهاتها الفنية، وما يعلو ذلك أو يتلوه من صورِ الاستعارات والكنايات.

ولقد انتهيتُ في دراساتي لأدب هذه القبيلة وشعرِها إلى أن الصبغ البدويَّ كان التيارَ الذي جرف هذه الأشعار، وأن نوازعَ الشعراء ومبانيهم ومعانيهم وأخيلتهم وأفكارَهم وعباراتهم ومفرداتهم اللغوية، وموضوعاتهم الأدبية كانت كلها أصداء للبيئة البدوية التي عاش فيها شعراءُ هُذَيْلٍ.

ولقد لمستُ عن كثَبٍ أنهم كانوا من البراعة بمكان في تصويراتهم الفنية حين يرسمُ الشاعرُ مناظرَ أو مشاهدَ رائعةً مكتملةً فنياً لما رأتْهُ عيناه، فيبدو الرسام الأدبي ملماً بفنِّ الرسم إلماماً تاماً، مدركاً لجوانب النقصِ أو الكمالِ فيه، وهذا دليلٌ واضحٌ

على تمكنه في فنِّ التصويرِ الشِّعْري ودقته البالغة في تحديد التعبير، كما أنه دليل على خصب الخيالِ والبصر بألوان التأثير بالكلمات والعبارات.

كذلك عرفت أن جلَّ شعرِهم يمتازُ بالواقعية، لأنه يستمدُّ مادتَه من واقع الحياة، فيصوِّرُ البيئةَ تصويراً صادقاً واضحاً، ويرسم الحياةَ رسماً جلياً لاخفاءَ فيه، إلى معانٍ قريبةٍ خاليةٍ من المبالغات والتعقيدات ملائمةٍ للفطرة، منسجمةٍ مع طبيعة المجتمع الذي يحيون فيه. ومن الحقائق التي تبدو على سفح هذا الشعرِ أنه جعلَ الحياةَ بخيرها وشرِّها مادةً له يستمد منها الصُّوَرَ، ويفترع الرسوم.

وتمتاز واقعية فنِّهم الشعريِّ بالقدرةِ على تصوير حياة قبيلتهم في شتَّى مظاهرِها، ثم الفوق في استكمالِ الصورة العامة بكلِّ أجزائها وتفصيلاتها في صراحةٍ ولياحٍ ووضوح.

ويتمثل ذلك تماماً في غزلهم الساذج، ورثائهم الباكي، وقصصهم الحزين، ثم في هجائهم ومدحهم اللذيْن يبعدان كلَّ البعدِ عن المبالغة والتهويل، ثم في الوحدة الموضوعية التي تتجلى في كثيرٍ من أشعارهم، لا سيما في المقطعات وشعرِ الصعاليك الذين كانوا يميلون غالباً إلى التركيز، ومعروف أنه يُكْتَفَى في القصيدة العربية بما يسمَّى الوحدة النفسية أو الشعورية أو ما يسمى بالوحدةِ الفنية بديلاً عن الوحدةِ الموضوعية المعروفة عند اليونان.

وقد وقفتُ مع المَرْثِيَةِ الغزلية موقفاً خاصّاً أملته الدراسةُ وكوَّنه البحثُ الفنيُّ الدقيق، ولهذه المرثية مقامٌ خاصٌّ في الشِّعْرِ الهُذَليِّ، وتعد من أبرز خصائصه ومميزاته، وقد لاحظ النقاد أن قصائدَ الرثاء لا تبدأ بالغزل، لأن مواطن الحزن والشجن لا تتفق مع التفكير في المرأة والتشبيب بها ومغازلتها بأيَّةِ حالٍ.

ولكن شعراء هُذَيْلٍ جمعوا بين الأمريْن، وقرنوا بين المَعْنَيين، وربطوا هذا الغرضَ بذاك في كثيرٍ من شعرِهم الرثائي الحزين، وقد انفردوا بهذا الجمع، وإن قلَّدَهم سواهم بعدَ حين.

والواقع أن هذا الجمع يكاد يكون أمراً طبيعياً، وإن غفل كثيرٌ من الناس عن هذه الحقيقة؛ لأن الغزلَ ليس إلا استجابة وجدانية عفوية تخلقها طبيعة العلاقة بين الرجلِ والمرأة، وهي علاقة غرزية قوية، وكذلك أمر الرثاء من حيث هو مجموعة من المشاعرِ

العاطفية التي تمتاز بلواعجِ الحزن واللوعة والبكاء التي تنشأ عن العلاقات الفردية أو الاجتماعية العامة، والغزل والرثاء يُعَدّان من الأغراض الشعرية الذووية التي لا تمثل إلا مشاعر صاحبها في نظرته إلى الحب والجمال، أو في فهمه وتأمله لمعاني الصداقة والأُخوَّة والعطف والحنان وسائر المواقف التي تتصل بتموجات الإحساس، فالعلاقة بين هذين الغرضين وثيقة جداً؛ لأنها تعبِّر عن جوانب ذووية لظواهر نفسية واحدة في الواقع وإن اختلفت الأسماء ، وتعددت المصطلحات، وقد أوضحتُ أنَّ الرثاءَ يشاركُ الغزلَ في أن كلاًّ منهما بكاء على فراقِ حبيبٍ مفقودٍ، أو بُعْدِ حبيبٍ موجودٍ. كما بينت أن هذا الغرض "الرثاء" في رسمه لصوره الباكية، ورسومه الشاجية ينتزع تشبيهاته وأخيلته من واقع الأحداث المرتبطة بصاحب المَرْثية،فلا غرابةَ إذا ما تفاعل الرثاءُ مع واقع الحياة وعبَّر عن بعضِ هموم الشاعرِ ومشاعره الصادرة عن طريق الحزنِ واللوعة، والتحسُّرِ والبكاء، حيث يبكي الشاعرُ حظَّه ويشكو مصيرَه، ويندُبُ نصيبَه في محبوبته التي بَعُدَتْ عنه وحُرِمَ منها، أشدَّ ما يكون حاجةً إليها.

وهذا الغزلُ الحزينُ الباكي لا يختلف كثيراً في مظاهره عن شعرِ الرثاء، فهما في الواقع من ألوان الشَّجَى والشَّجَن، وصور التحسُّرِ واللوعة على الحبيب المفقودِ، سواء من فارق الوجود ومن بقي لابساً ثوب الموجود.

وعلى مدى اطلاعاتي، وواسع قراءاتي عرفتُ أنَّ أولَ من اكتشف هذا اللون عند الهذليين هو أستاذي الدكتور عبد السلام سرحان في كتابه " قطوف من ثمار الأدب"، في ثنايا دراسته لعينية أبي ذؤيب، وقد أشرتُ إلى ذلك وصرحتُ به فيما تقدم من دراسات.

ومن الجوانب الجديدة التي أشرتُ إليها في هذا الفصل موضعُ النقائض الشعرية التي امتاز بها شعراءُ هُذَيْلٍ، وكثرتْ في أشعارهم كثرةً جعلتها أحدَ الأصباغ الفنية التي انفرد بها أولاً شِعْرُ هذه القبيلة، ويتضح من دراسة أشعارهم أن النقائضَ كانت فنّاً مُحَبَّباً إليهم، وهدفاً مرغوباً منهم ومقرباً لديهم، وربما تدرج الهجاء فصارَ مناقضة. وربما حدثت النقائضُ بين شاعريْن منهم، وربما كانت بين شاعرٍ منهم وآخر من غيرهم، وعلى هذا وصلنا إلى نتيجة حاسمة هي أن الهذليين كانوا الأساتذة الأُوَل لفنِّ النقائض الشعرية.

كذلك كتبنا عن الخصائص اللغوية بوصفها إحدى ظواهر شِعْرِ هُذَيْلٍ، وبالتالي تتكون منها خصائصُ الشعرِ الجاهلي عامةً، ويتمثل ذلك في فصاحة الألفاظ وجزالة التراكيب، وسلامة الإعراب، والخُلُوِّ من اللحنِ والرِّكة، لأن العربية الفصحى كانت لغتَهم التي شبّوا عليها، وارتضعوا أثداءها في تسام وتفاخر جدٍّ عجيب.

ولقد بينتُ أن شيوع الغريب في شعرِ هُذَيْلٍ كان إحدى سماته، ومن أبرز صفاته، وأقوى علاماته، ومثل ذلك انتشار أسماء الأماكن والمواضع والأشجار والآبار التي رحلوا منها أو إليها، واستظلوا بها وأقبلوا عليها في هدوء ودعة وسكون.

وفي الفصل الرابع: "شعراءُ هذيل" قمتُ بدراسةٍ واسعةٍ حول الشعراء الهذليين سُوساً ونجاراً، وهم الذين ترجع أصلابهم إلى آباء من هُذَيْلٍ صليبةً ثم أحصيت عددَهم، وعَرَّفْتُ بهم في تركيز وإيجاز، كما أحصيتُ الشعراء الذين وردت أسماؤهم في أشعار الأَوَّلين، وهم غير هذليين، وإن كان ذلك قد كلَّفني اطلاعاً واسعاً وانقطاعاً جاذعاً للقراءة والبحث والدرس والاستقراء والاستنتاج حمَّلني عِدّاً من الآلام والأوصاب.

وقد توصلتُ إلى أن عدد الشعراء الهذليين جِذْماً يقترب من المئة، وأن سائرَ[1] الشعراء الذين وردتْ أسماؤهم في أشعارِ الهذليين ليسوا من هُذَيْلٍ، وإنما ذكروا في شرح أشعار هذيل لأسباب أوردناها في مواضعها هناك.

ومما فطنت إليه في ذكر هؤلاء وأولئك من الشعراء: ترتيب أسماء شعراء هُذَيْلٍ على الحروف الأبْجَدِيَّة، وكذلك فعلت مع أسماء الشعراء الواردين في شرح أشعار هُذَيْلٍ، وليسوا من هُذَيْلٍ، وعددهم ينوف على أربعين شاعراً، على أن هناك شعراء من هُذَيْل لم يردْ لهم ذكرٌ في ديوان الهذليين، ولا في شرحِ أشعار الهذليين، وقد أشرت إلى ذلك في موضعه من الرسالة.

ومع الصعوبات التي واجهتني في الترجمة لشعراء هذيل - لأن المراجع لم تسعفْني في حلِّها - وقعت على عدد كبير من شعراءِ هُذَيْلٍ لم تذكر المراجعُ شيئاً عن جاهليتهم أو إسلاميتهم، فضلاً عن أن أكثرَ هؤلاء لم يترجمْ لهم أحدٌ، ومن هنا تضاعفت المشقاتُ، واحتاج الأمرُ إلى كثير من العناءِ والجهد والصبرِ الهادئ الجميل.

---

(١) قال في القاموس: والسائر، الباقي ... لا الجميع كما توهم جماعات.

ولئن نَصَّ في تراجم بعضهم على ذلك إن عدد هؤلاء جدّ قليل، ونسبتهم إلى العدد الكبير - حوالي المئة - نسبة ضحلة لا تزن مثقال قطمير، وقد لاحظت أن جُلَّ التراجم الموجودة لبعضهم قصيرةٌ فوق اللازم، وجانحة دائماً إلى الاقتضاب.

ومن هذه التفاعلات الواقعية في التأريخ لهم قدمتُ ترجمات موجزة لأشهرِ شعراء هُذَيْلٍ في الجاهلية، ثم لأبرز المخضرمين منهم، وكذلك للإسلاميين.

والذين ترجمت لهم هم: أبو قِلابة، والمُتَنَخِّل، وعمرو ذو الكلب، وعبد مناف ابن رِبع، وساعدة بن جُؤَيَّة، وصخر الغَيِّ، والأعلم، وأبو ذؤيب، وأبو خِراش، وأبو كبير، ومَعْقِل بن خُويلد، ومُلَيْح بن الحَكَم القِرْدِيّ، وأبو العِيال، وأمية بن أبي عائذ، وأبو صخر.

وقد راعيتُ في الترجمة لهم الإيجاز والتركيز تطبيقاً لمنهج البحث، واستكمالاً لجوانبه، غير أنني أكثرت من الاستشهاد ببعض أشعارهم في الرسالة لأقدِّم صورةً جليَّةً عما امتاز به شعرهم من خصائص وما يحتويه فنُّهم من ألوانِ الحُسْنِ والروعة وصور الإثارة والفتنة والجمال.

وأما الباب الخامس:

"تأثيرُ الشعرِ الهُذَليِّ في المحيط الأدبي" وهو من الأبواب التي تعد ثمرة لهذا البحث، وإحدى نتائج الدرس والفحص فيه، فقد تحدَّثْتُ عنه في ثلاثة فصول.

فتناولت في الفصل الأول: " أثرُ الشِّعْر الهذليِّ في الأدب والنقد" الحديث عن أهميته وصعوبته،وأوضحت أن الوصولَ إلى هذه الغاية يحتاج إلى كثرة من الباحثين الذي يتفرغون له عدداً من السنوات، لأن الوقوف على هذا الأثر في جميع جوانب العربية من أثقل المهام، وأشدِّها مشقة، وأصعبها ممارسة، لا سيما أن هذا الموضوع كان بِكْراً - حتى حاولتُ افتضاضه - ذا جوانب متعددة، وميدانه الدراسي واسعٌ رحب فسيح، كذلك ظلَّت آثارهم في اللغة والأدب تمتد وتتعدد بامتداد الأزمنة وتعدد العصور، ثم بقيت تتكاثر وتتناثر وتغزر وتزداد باختلاف الدول، وكثرة البيئات والأقاليم.

ومن المُسلَّم به أن الشِّعْرَ الهُذَليِّ من أجودِ الشعرِ العربي وأعلاه قيمةً، وأرفعه قمةً،وأفسحه مجالاً في دوائر اللغة والأدب، وأنه في مبانيه آيةٌ، وفي معانيه غايةٌ، وفي

مغانيه نهايةٌ،وفي خيالاته وتصويراته، ورسومه ووسومه أسوةٌ حسنةٌ، وقدوةٌ طيبةٌ وجهت الأنظار إليه، وأمالت الأعطاف عليه، وأوقفت العبقريات لديه، لعلها تستقي من نبعه، أو ترشفُ من طبعه، أو تغير على مُقَطَّعاته وقصائده لتنهب، وتستلب، وتسرق وتجتلب ما يستطاع الحصول عليه.

وقد تحدثت في إفاضةٍ عن أثرِ الشِّعْرِ الهذليِّ في الشعرِ العربي، وبينتُ أنه امتازَ بوصفِ الحيوان، ووصل فيه إلى غاية الإحسان، لاسيما صورة حمارِ الوحش مع أُتُنه، وكذلك الثور الوحشي مع بقراته، وهذا من الجوانب الفنية والموضوعات الشعرية التي تناولها الشِّعْرُ الهذليُّ، واستغلها على أوسعِ مدَى في ميدان العظة والاعتبار، ومواقف البكاء والرثاء، وأوقات التعزية والتسلية، عند فقدِ الرجال وتجدُّلِ الأبطال.

كذلك أوضحتُ أنَّ الشِّعْرَ الإسلاميَّ تأثر بمنهج الشعراء الهذليين في هذا الميدان، لا سيما في القرن الأول حيث لمسنا تأثر ذي الرُّمَّة بالمعاني التي طرقها الهذليون، واحتواء شعرِه على كثيرٍ من الصور الرائعة التي قدَّمَها في وصف الصحراء والحيوان خاصّةً الحمار والثور الوحشيَّيْن، وصراعاتهما مع الصيادين وما معهم من كلابٍ وآلات اصطياد، وقد ذكرنا عدة أمثلة شعرية تبين صدق ما ذهبنا إليه هنا وهناك.

ومن الجوانبِ التي وصلتُ إليها في بحثي ـ كما سبقت الإشارة ـ أن الهذليين كانوا ذوي أثرٍ واضحٍ في إنشاء المعارضات الشعرية. وأنَّ فنَّ النقائضِ كان ذا جذرٍ عميقٍ لديهم، وأنَّ هذه الصور الأدبية، وُجدت عندهم كاملةً وأن جريراً والفرزدق والأخطل لم يكونوا مفترعين لهذا الفنِّ بل كانوا متبعين سائرين على التخطيط الهذلي له عندما عرف الوجود عندهم، ومارس النشأة لديهم منذ زمنٍ طويلٍ.

كذلك أوضحتُ مدَى تأثرِ الشعراء العباسيين بالشِّعْرِ الهُذَلي، وعزفهم على قيثارة فنه، وضربهم على دفوفه، وغنائهم على نايه العريق العتيق، ولقد أثبت أن هذا يدلُّ دلالةً قاطعةً على ما امتاز به الشِّعْرُ الهذليُّ من جودةٍ فنيِّةٍ، وطاقةٍ قويَّةٍ في صوغ الأساليب، وصبغ التراكيب، وحوك الكلمات وسبك العبارات في شعرية عالية، وأدبية حالية، انتزعت الإعجاب، وأسرت الألباب، وارْتَفَعَتْ بشِعْرِ هُذَيْل إلى أعنان السماء.

وقد أثبت أيضاً أنَّ تلك الدُّرَّة الفنية العاطفية التي خرجَتْ من أصداف هُذَيْل، وهي عملية الجَمْعِ بين النسيب والتشبيب، واقتران الغزلِ بالرثاء، قد تأثر بها الشعرُ

العربيُّ خاصَّةً في العصرِ العباسي، الذي أصبحت فيه تلك الخاصة إحدى الظواهر المنتشرة في ذلك العصر، وإن اختلف الشعراء في تصويرِ عواطفهم، ورسمِ أحاسيسهم، وسردِ تجاربهم.

وقد مثلت بشعرِ عددٍ من الشعراء الذين عزفوا على ذلك الوتر، وضربوا على تلك الأعواد، كأبي نُواس وأبي تمام وديك الجنِّ والبحتري والمتنبِّي من شعراء ذلك العصر، ثم البارودي من شعراء العصر الحديث، وهذا يدلُّ دون شكٍّ على تأثر هؤلاء الشعراء وأضرابهم بالشِّعْرِ الهُذَليِّ، وعلى أن شعراء هُذَيْلٍ هم الأساتذة، ومَن بعدَهم هم التلامذةُ في هذا الفنّ الأدبي الدقيق.

كذلك ذكرت أمثلةً كثيرةً لسرقات الشعراء ، وإغاراتهم على الشعرِ الهُذَليِّ مبرهاً على أن طرائقَ هُذَيْلٍ في صوغ الأساليب، وصنعِ التراكيب، واستلهام الأخيلة، والمواءمة بين المعاني والمباني، كانت هي الطريق التي سلكتها جماعات السارقين والمغيرين من الشعراء الذين أكلوا على موائدِ هُذَيْلٍ، وأغاروا على قصائدهم في شتّى الأَزمنة ومختلفِ العصور.

وفي هذا الفصل تحدَّثْتُ ـ أيضاً ـ عن موقف النقادِ من الشِّعْرِ الهُذَليِّ وكشفت آراءهم فيه، وبينت مدَى ما أَكنُّوا له من إعجابٍ وتقديرٍ، وما قالوا فيه من إشادةٍ وإطراءٍ، ومن هؤلاء الأصمعيُّ، وأبو تمام، وابن قتيبة، والبحتريُّ، وابن طباطبا العلويُّ، وقدامةُ بن جعفر، والقاضي الجرجانيُّ، والآمديُّ، والمَرْزُبانيُّ، وأبو هلال العسكريُّ، وأبو العلاء المعريُّ.

وقد اتضح من جملة هذه الآراء أن الشِّعْرَ الهُذَليَّ كان قمةً في الفصاحة والبلاغة، وأنه كان ذا أثرٍ واضحٍ في الحماسات التي احتل مكانه فيها، وأن النقاد مجمعون على أنه من أجودِ الأشعار، وقد عرضت في بحثي كثيراً من هذه الآراء.

ومما لاشك فيه أن اشتغال النّقّادِ بدراسة الشِّعْرِ الهُذليِّ ثم إصدار آرائهم فيه كوَّن فصولاً قوية في مدرسة النقد الأدبي، ودفع عجلة هذا النقد إلى الإمام مسافات طويلة.

ولم أكتف في عرض آراء النقاد بتلك التي صدرت في القديم، بل ذكرتُ كثيراً من آراء المُحْدَثين التي تسجَّلُ له الفوقَ والفَلَقَ، وتحيطه بهالة من الإعجاب والإطراء والإشادة والتقدير.

ومن الجوانب التي لفتت أنظارَ النقاد، وأجمعَ العلماءُ معهم على الاعتراف بها، والإكبار لها: ما حفل به الشِّعْرُ الهُذَلِيُّ من الصور البيانية الرائعة، وما يَثِرُّ به من جمال الترصيع، وروعة التسجيع، ومابين دَفَّتَيْه من ضُروب الالتفات وما تنطوي عليه أجنحتُه من حُسْنٍ وفَتْنٍ وجمالٍ واعتدال، إلى لَامِع مقطعٍ، ورائع مَخرج، وقوة ابتداء، وبدْعِ انتهاء، وغير ذلك مما يسجل تقدير الجميع لما فيه من سمات وميزات، ويوحي بأنه من طرازٍ جدٍّ ممتاز.

وتحقيقاً للعدالة، ورغبةً في الإنصاف تحدَّثْتُ عن مآخذ النقاد على شعْرِ هُذَيلٍ وما ذكروه من عيوبه ومثالبه، خاصَّة في بعض الأبيات المتفرقات. وتتبع النقاد لهذا الشِّعْرِ يدلُّ وحْدَهُ على مكانته وأهميته، ومدَى تأثيره في الآداب المتناثرة على مدَى العصور والأزمان.

وفي الفصل الثاني: " اللغة العربية وأشعارُ هُذَيْلٍ" تحدَّثْتُ عن شيوع الغريب من الألفاظ في أشعارهم، وكثرة أسماء المواضع والأشجار والمياه، وبيَّنْتُ أنه كان بهذا الشمول عامل ثراء لتلك اللغة، وكان من العوامل التي ضمنت لها الخلودَ في هذا الوجود، كما كان من أسباب ثقة علماء اللغة والأدب بشعْرِ هُذَيْل حتى عدُّوه كنزاً من كنوز العربية يستمدون منه شواهدَهم، ويرجعون إليه في تكوين ما كوَّنوه من قواعدَ ونظمٍ وقوانين.

وقد لاحظتُ أن لغة الشعرِ الهُذَلِيِّ أقربُ إلى فطرة اللغة العربية وأصدقُ تمثيلاً لها، إذ هي صادرة من منابعها الأولى في البادية، وذلك قبل أن تؤثر فيها تلك التيارات التي تؤثر في اللغات، ولست أدعي أن لغةَ سائر الشعراء الجاهليين لا تمثل فطرة اللغة العربية، ولكن الذي أقرره هو أن لغةَ شعراءِ هُذَيْلٍ أقرب إلى العربية الفطرية وأكثر تمثيلاً لها دون شك أو ارتياب.

ولقد تكلمتُ عن أثرِ الشعرِ الهُذَلي عند المفسرين الذين اعتمدوا كثيراً عليه في تفسير ألفاظ القرآن الكريم وآياته الحكيمة، كما تحدثتُ عن مسائل نافع بن الأزرق حين سأل ابنَ عباس أسئلة كثيرة في التفسير، وكانت إجابات ابن عباس مدعومةً بذكر أبيات من أشعار العرب، خاصَّة من الشعرِ الهُذَلي الذي ذكرت أمثلته هناك.

وفي هذا المجال بينتُ مدَى عناية الأدباء واللغويين بشعرِ هُذَيْلٍ، ومدَى اعتمادهم عليه في شرح غرائب اللغة واستشهادهم به على معانيها، وقدمتُ عديداً من الصورِ التمثيلية لتوضيح ذلك.

وقد ذكرتُ كثيراً من الأمثلة التي تبين أن شعرَ هُذَيْلٍ كان كنزاً لا ينفد للغة العربية، كما كان سجلاً ضخماً للكلمات والألفاظ التي نطقَ بها العربُ الأقحاح في البيئة العربية الخالصة، ولهذا كانت كُتُبُ اللغة كلّها تستقي من نبع الشعرِ الهذليٍّ، وتكرع من حياضه في شتَّى المواد، وقد ضربتُ لذلك أمثلة من أمهات المعاجم المطولة كاللسان وتاج العروس والتهذيب. وهذا دون شك يدلُّ دلالةً قاطعةً على تأثيرِ شعرِ هُذَيْلٍ في اللغةِ العربية مادةً وألفاظاً.

وقد دعا الأمرُ إلى حديثٍ مُكْبِرٍ عن معجم اللغة الذي قام بعمله الأستاذ عبد الستار فراج في أواخر تحقيقه لكتاب شرح أشعار الهذليين، وقد أثبتُّ أنه بهذا العمل أضافَ معاني وألفاظاً لم ترد في كتب اللغة، أو وردت في بعضها، وبهذا ظفر الباحثون بشواهدَ عربيةٍ من شِعْرِ هُذَيْلٍ لألفاظ لغوية لم تذكرْ لها شواهد في كتب اللغة.

والحقُّ أن هذا المعجم يُعَدُّ ثروةً هائلة للباحثين في متن اللغة، المولعين بالعثور على خباياها وخفاياها، المغرمين بالوصول إلى نهاية لبحرِها المتدفق العجيب.

وفي الفصل الثالث: " النحو العربي والشِّعْرُ الهُذَلِيُّ" - وهو الفصلُ الأخير - بينتُ فيه مدَى عناية النحاة بشعرِ هُذَيْلٍ حيث يختارون منه شواهدَهم، ويضعون على هديه قواعدَهم،وكتب النحو ملأى بالشواهد الشعرية المنسوبة لشعراء هُذَيْلٍ، حافلةً بعديد من أبياتهم التي يعدها النحاة أصولاً يقيمون عليها القوانين.

وقد ذكرت أمثلة من الكتاب لسيبويه، والمفصلِ للزمخشريٍّ، وشرحه لابن يعيش، وخزانة الأدب للبغدادي الذي يفيض في شرح الشواهد ويترجم لأصحابهاوكذلك من كتاب الإنصاف لابن الأنباري الذي يعتدّ كثيراً بشواهد من الشعرِ الهذليٍّ، حيث يستدل بها البصريون تارةً، والكوفيون أُخرى وقد يخالف ابنُ الأنباري هؤلاء وأولئك ويستشهد بشعرٍ هُذَلِيٍّ آخر يؤيد به ما ذهب إليه.

وليس عجيباً أن يهتم النحاةُ واللغويون بهذا الشِّعْرِ. فقد كانت هُذَيْلٌ قبيلةً باديةً بعيدة عن الاختلاط بغيرِ العرب الأقحاح، إلى جانب أنها تمتاز بالفصاحة وسلامة اللسان، وسلاسة الطبع والسليقة العربية الصافية البعيدة عن شوائب العُجْمَةِ، وأدْران الاختلاطِ بغيرِ الفصحاء.

ولقد أوضحتُ في هذا الفصل أن الشّعْرَ الهُذَليَّ كان ذا أثرٍ بالغٍ في علوم العربية، وفنونها البيانية، وأنه كان نبعاً ثراراً ارتشفت لغةُ العرب من رحيقه، واشتفَّت من أفاويقه، واستقت من شرابه، واستَدَرَّت من حلابه، حتى طال باعُها، وسمق فرعُها، وتهدَّلت أغصانُها،وتمايلت أفنانُها، وتكاثرت فروعُ شجرتها، وامتدت إلى كلِّ جوانب الحياة.

وقبل أن أضعَ هذا القلَم، وأوقفَ خفقَ ذلك العلَم، يهمني أنْ أُسجِّل أَنْ هذه الدراسة الواسعة هدَتني إلى حقيقة ثابتة، هي أنَّ الشعرَ الهذليَّ خاصَّةً، والجاهلي عامّةً، هو الصَّدَى القويّ البالغُ لرنينِ الحياة العربية الذي نفسَ به الشعراءُ عن عواطفهم الحيَّة الصادقة، وتغنوا فيه بما اختلج في نفوسهم من آلامٍ وآمالٍ، فكان هذا الشِّعْرُ هو التصوير الحقّ لميولهم ونزعاتهم، والرسم الواضح لعواطفهم ونزغاتهم، والمثال اللائح لأخلاقهم وعاداتهم، والكتاب الدقيق الذي خطوا فيه ألوان حياتهم في أسطار من وحي الفنّ الخالص، وإلهْام كلِّ حدثٍ صغير أو كبير.

ولهذا تنطق هذه الحقائق الواضحةُ بأنَّ مَنْ أرادَ أن يتعرف إلى الحياة الجاهلية، أو أحَبَّ أن يصورها للناسِ تصويراً منبلجاً كلَّ الانبلاج فعليه بالشِّعْرِ الجاهلي يتخلج ينابيعه، ويمازج مجامعه، ويتفَحَّصُ آثارَه، ويتلمَّس أسرارَه، ويستخرج أصباغه وألوانه، ويستمع أغاريده وألحانه، وحينئذ يستطيع أن يرسمَ منها جميعاً صورَ هذه الحياة.

ولقد زادتني هذه الدراسة العميقة يقيناً على يقينٍ بأنَّ الشعرَ الجاهلي لا زال في أمسِّ الحاجة إلى أن يُدْرَسَ بأسلوبٍ جديد، يكشف عن روافده، ويهيئ لموائده، ويقدم كثيراً من أطباقه الشهيَّة إلى الأذواق الأدبية، التي ترنو إلى حقائقه، وتشرئب لدقائقه، وتأمل أن تُسْتَخْرَجَ دراريُّهُ من أصدافها، وتنصرف إلى نُهْيراته حول ضفافها، حتى ينتهي بها المطاف إلى أن تصادقه وترافقه، وتدرسه وتحققه، ولا تلقي بالاً لما افتراه عليه المستشرق" مرجليوث" ومن لَفَّ لَفَّهُ من المغضوب عليهم أو الضالين في تيهاء الحياة، حين أنكروا الشِّعْرَ الجاهلي، واستغلوا جهلَ الناس به، وهدفوا إلى أن يُسمّوا القرآن أدباً جاهلياً، صنعَهُ الأديبُ العبقريّ محمد بن عبد الله، ثم ادعى أنه من عِندِ الله ﴿ **كَبُرَتْ كلمةً تخرجُ من أفواههمْ، إن يقولونَ إلا كَذِباً** ﴾ [الكهف :٥].

وإني لأُهيب بالباحثين والدارسين من شبابِ العروبة وشيبها أن يعكفوا على هذا الشعرِ الجاهلي، ويطوفوا ببيته وبيئته في عصوره السابقة واللاحقة، وأن يتدارسوه على أنه المصدرُ الأولُ لفهم الحياة العربية، والسجلُّ الصادقُ لما نبضت به حياةُ العربِ في شتَّى مناحيها، كما أُهيبُ بمثقفي العرب أن يتذوقوا هذا الشعرَ ويحرصوا على فَهْمه وإدراك مراميه، ويجعلوا منه غذاءً لأرواحهم، وَرِيّاً لعواطفهم، وإحياءً لقلوبهم، ومصدراً لمجدهم، وعنواناً لحريتهم التي عزف على قيثارها أجمل الألحان. فالأدبُ هو رسالة الحياة، وغصنُ الأملِ ومصدر الخيرِ، ومنبع الراحة والهناءة، ومرسم الحُسْنِ والفَتْنِ والجمالِ.

وأملي كبيرٌ في الله أن يكون هذا البحث قد حارَ إلى إشعاع مضيء يسلط على الحياة العربية أنواراً كاشفةً عن كثيرٍ من المستور والمجهول. ولعلي أُسَرّ كثيراً حين أشعرُ بأن تَحَقُّقَ هذا الأمل على وشكِ الاقتراب، ولهذا أُحسُّ بغبطةٍ نفسيَّةٍ، وسعادة قلبية، بعد أن اكتمل هذا العقدُ الدراسي الذي يتلألأ أمام عيني في فضاء البحث الفسيح.

وإن هذه الغبطة الروحية لقادرة على أن تُنْسِيني ما كابدتُ من آلام، وما تحملتُ من أعباء، وما لقيتُ من نَصبٍ ووصَب، وإنما مثلي في هذه الحالة مَثَلُ الزارع الذي كَدَّ وكدَح، وكافح ونافح، حتى تفصد جبينه عرقاً، واضطرب حيرة وقلقاً وكاد يحسُّ بالكلال أو يشعر بالملال، فإذا هو بالزرع قد أينع، وإذا بالسنبل قد استحصد، وإذا بالثمرات تَتَهَدَّل، وبالفواكه تتنزل، وإذا بي أفتح كفِّي ضارعاً إلى السماء، منتظراً أمراً من لجنة الحكم الموقرة كي تسمح بالقطاف، وتَنْفُخَ بالأفواف، فنلبَسَ أثواب الفوز، ونمشي على بُسُطِ العزِّ، ونخطر في مسارات النصر المُؤَمَّل، والنجاح المُرْتَجَى، بعد ما لقينا من تعب وما تحملناه من لأواءَ، وبعد ما قضينا مئات الأيام والليالي في مفازات الاطلاع ومغارات البذلِ والتضحية بكل مُرتَخَصٍ وغالٍ.

وإني لجدُّ فخور أن وفقني الله سبحانه إلى تأليف هذه الرسالة، وحَمْلِ تلك الأمانة، وإبرازِ ذلك المؤلف الذي قضيتُ في إخراجه أربع سنوات متواليات حالفتُ فيها السَّهَرَ، وصادقت الأرَق، وأَلِفْتُ الدياجي، واستضأتُ بالدياجير.

ولقد كان من عادة بعض الزملاء أن يتبعوا حديثهَم الأخير عن أبواب الرسالة وفصولها، بياناً موجزاً بجوانب الجِدَّة والحداثة والنتائج والثمرات التي أضافوها إلى المعلومات العامة في رسائلهم، أو الجوانب التي اكتشفوها في دراساتهم.

ولكني غيَّرتُ هذا النهج، وبدَّلْت ذلك الطرز،وتركتُ للأساتذة الجهابذة أن يروا بمصباح ثقافتهم الواسعة، وإشعاعات روحهم الطيّعَة، ما وراء الأفق،أو ما تحت الشفَق،من ثمراتِ هذه الشجرة المباركة التي غرساناها في حديقة البحث الغنَّاء، وبين أفناء روضته الفيحاء، ثقة بنظراتهم النقَّادة وقرائحهم الوقَّادة، وما حباهم المولى من فطانة وزكانة، وما خصَّهم به من علمٍ ممتاز، ونقدٍ نفَّاذٍ، وقدرة خارقة في وزن الأمور بميزانها الصحيح.

ومن الإنصاف العادل أن أُقرر في غير مواربة أن كلَّ ما توصلتُ إليه من نتائج، أو كشفتُه من حقائق، أو لمستُه من دقائق أو أخرجتُه من نتائج لا يمكن أبداً أن يمثل الكلمةَ الأخيرة في هذا الموضوع الخطير، لأنها في الواقع مستحيلة في ميادين العلم والأدب.

كذلك لا أستطيع أن أَزعم أنني وصلتُ فيما قدَّمْتُ إلى درجة الكمالِ ولو نسبياً، فالكمالُ لله وحده، وجلَّ ما أستطيع أن أسجلَه وأنا مستريح الخاطر هادئ النفس والحسِّ، أن النتائج التي توصلتُ إليها ليست إلا ثمرة لما اطلعتُ عليه من مادة في ميدان واسع فسيح، ولا شك أن وراء ما أطلعتُ عليه أشياء وأشياء ربما ظهرت في مقبل الأيام فغيَّرت وبدَّلت من النتائج التي انتهينا إليها في هذا البحث بنِسبٍ قد تزيد وقد تنقص، حسب ما ينكشف من حقائق، أو يبدو من دلالات.

وكلي رجاء إلى الله أن يكون هذا البحث خطوةً واسعةً في سبيل دراسة هذا الموضوع، وأن يوفقني سبحانه أو يوفق سواي لاستكمال الخطوات التالية لدراسة أشعارِ القبائلِ العربيةِ الأُخرى، وتجليهِ ما حولها من غموض.

ولعلي في هذه الدراسة أكون قد وفقت في إضاءة جوانب كثيرة من قضايا الشِّعْرِ الهُذَليِّ، وجعلتها جديرةً بالعناية والتأمل، ولن أستطيعَ الزعمَ بأني بلغتُ الغايةَ، أو وصلتُ إلى النهاية فيما يمكن أن يقالَ في هذا الموضوع.ولكني حاولتُ وأَملَّتُ، وجهدتُ وسعيتُ كي أصلَ إلى ما تهفو إليه النفسُ، أو يرنو إليه الحِسُّ، مِنْ

تحقيق غاية، أو إظهار آية، أو الوصول إلى تحقيق ما للأدب قِبَلِي من حقوقٍ والتزامات. وحسبي أنني أخلصتُ النِّيَّةَ، وأقبلتُ على العمل متمثلاً بقول الشاعرِ الحكيم:

إذا لم يكن عَوْنٌ من اللهِ للفتَى فأوَّلُ ما يَجْنِي عليْهِ اجْتِهَادُهُ

وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلتُ وإليه أُنيب.

الدكتور

إسماعيل داود محمد النَّتْشَة

القاهرة. مساء الجمعة ٢٠ من صفر سنة ١٣٩٦هـ

٢٠ من فبراير سنة ١٩٧٦م.

المصادر والمراجع

آثرت الاكتفاء بذكر المصادر والمراجع الأساسية والهامة، أما الفرعية فقد رأيتُ من التزيد إثباتها هنا بعد أن وردت في هوامش هذا البحث. كما فضلت عدم ذكر المعاجم اللغوية على كثرة ما رجعت إليه منها ـ لأنها مراجعُ هامة في كلِّ البحوث الأدبية، وإن كنت أحبُّ أن أشيرَ إلى أن لسان العرب لابن منظور وتاج العروس للزَّبيدي لم يكونا بالنسبة لي معجمين لغويين فحسب، وإنما كانا أيضاً ـ لكثرة ما فيهما من الشعرِ الهذليِّ ـ مصدرين أَدَبِيَّيْنِ عظيمي الأهمية لأشعارهم.

وأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها هي:

١ـ ابن قتيبة للدكتور عبد الحميد سند الجندي ـ سلسلة أعلام العرب رقم ٤٢ ـ المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر ١٩٦٣م.

٢ـ ابن قتيبة ونظراته النقدية ـ للباحث ـ رسالة الماجستير سنة ١٩٧٢م. مخطوطة بمكتبة كلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر بالقاهرة.

٣ـ أثرُ القرآن في (تطور) النقد العربي للدكتور محمد زغلول سلام ـ طبع دار المعارف بمصر ـ الطبعة الثالثة ـ ١٩٦٨م.

٤ـ أدب الكاتب لابن قتيبة ـ تحقيق وشرح الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد ـ مطبعة السعادة بمصر ـ الطبعة الرابعة ـ ١٩٦٣م.

٥ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ـ مطبعة الشعب بالقاهرة ١٩٧٠ ـ ١٩٧٣م.

٦ـ أسرارُ البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني ـ تحقيق السيد محمد رشيد رضا ـ دار الكتاب العربي بمصر ـ الطبعة الخامسة ١٣٧٢هـ.

٧ـ أسس النقد الأدبي عند العرب للدكتور أحمد أحمد بدوي ـ مكتبة نهضة مصر ـ مطبعة الرسالة ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٦٠م.

٨ـ أشتات مجتمعات في اللغة والأدب للأستاذ عباس محمود العقاد ـ طبع دار المعارف بمصر ـ الطبعة الثالثة ـ ١٩٧٠م.

٩ـ أشعارُ الهذليين ـ ما بقي منها في النسخة اللغدونية غير مطبوع ـ للمستشرق الألماني فلهاوزن ـ برلين ١٨٨٤م.

١٠- أشعار ساعدة بن جُؤَيَّة وأبي خِراش والمتنخِّل وأسامة بن الحارث - جمع يوسف هل الألماني - ليبزج ١٩٣٣م.

١١- أصول النقد الأدبي للأستاذ أحمد الشايب - طبع مكتبة النهضة العربية - الطبعة السابعة ١٩٦٤م.

١٢- إعجاز القرآن للباقلاني - طبعة مصطفى الحلبي - الطبعة الثالثة - ١٩٥١م.

١٣- الأئمة الأربعة للدكتور أحمد الشرباصي - طبع دار الهلال بالقاهرة.

١٤- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي - طبع مصطفى الحلبي - الطبعة الثالثة - ١٩٥١م.

١٥- الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام للدكتور عبد الحميد المسلوت - مطبعة السعادة بمصر ١٩٦٧م.

١٦- الأدب العربي في العصر العباسي الثاني للدكتور محمد كامل الفقي - دار الطباعة المحمدية بالأزهر - الطبعة الأولى ١٩٦٤م.

١٧- الأسس الجمالية في النقد العربي للدكتور عز الدين إسماعيل - دار النصر للطباعة بالقاهرة - الطبعة الثانية ١٩٦٨م.

١٨- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر - مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٣هـ.

١٩- الأصمعي للدكتور أحمد كمال زكي - سلسلة أعلام العرب رقم ١٨ - المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر ١٩٦٣م.

٢٠- الأصمعيات للأصمعي - تحقيق وشرح الأستاذين : أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون - طبع دار المعارف بمصر- الطبعة الثالثة.

٢١- الاقتراح في أصول النحو للسيوطي - دار المعارف في حلب - سورية - الطبعة الثانية ١٣٥٩هـ.

٢٢- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق للدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) - طبع دار المعارف بمصر ١٩٧١م.

٢٣- الأعلام للأستاذ خير الدين الزركلي - مطبعة كوستاتسوياس وشركاه - الطبعة الثانية ١٩٥٧م.

٢٤- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني - تحقيق الأستاذ عبد الستار أحمد فراج - دار الثقافة ببيروت ١٩٦٠م.

٢٥- الأمالي لأبي علي القالي - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.

٢٦- الإمام الشافعي فقيه السنة الأكبر للأستاذ عبد الغني الدقر - دار القلم - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٧٢م.

٢٧- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين، البصريين والكوفيين لابن الأنباري. تحقيق وشرح الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد - المكتبة التجارية بالقاهرة - الطبعة الرابعة ١٩٦١م.

٢٨- البخلاء للجاحظ - تحقيق وتعليق الدكتور طه الحاجري - طبع دار المعارف بمصر - الطبعة الرابعة ١٩٧١م.

٢٩- البيان والتبيين للجاحظ - تحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام محمد هارون - مطبعة دار التأليف بمصر - الطبعة الثالثة ١٩٦٨م.

٣٠- التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية للدكتور أحمد شلبي - طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر - الطبعة الخامسة ١٩٧٠م.

٣١- (التطور) والتجديد في الشعر الأموي للدكتور شوقي ضيف - طبع دار المعارف بمصر - الطبعة الخامسة ١٩٧٣م.

٣٢- التمام في تفسير أشعار هُذَيْلٍ مما أغفله أبو سعيد السُّكَّرِيُّ لابن جني - تحقيق الأستاذ أحمد سامي القيسي وزميليه - مطبعة العاني في بغداد - الطبعة الأولى ١٩٦٢م.

٣٣- التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه لأبي عبيد البكري - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.

٣٤- الحماسة لأبي عبادة البحتري - دار الكتاب العربي - بيروت : الطبعة الثانية ١٩٦٧م.

٣٥- الحياة الأدبية في البصرة للدكتور أحمد كمال زكي - طبع دار المعارف بمصر - الطبعة الأولى ١٩٧١م.

٣٦- الحياةُ العربية من الشعرِ الجاهلي للدكتور أحمد محمد الحوفي - طبع نهضة مصر - الطبعة الرابعة ١٩٦٢م.

٣٧- الحيوانُ للجاحظ - تحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام محمد هارون - مطبعة مصطفى الحلبي - الطبعة الثانية ١٩٦٩م.

٣٨- الروض الأُنف - في شرح السيرة النبوية لابن هشام - للسهيلي ... تحقيق وشرح الأستاذ عبد الرحمن الوكيل - دار النصر للطباعة بالقاهرة - الطبعة الأولى ١٩٦٧م.

٣٩- السيرة النبوية لابن هشام - المطبعة السابقة.

٤٠- الشعر الجاهلي - خصائصه وفنونه - للدكتور يحيى الجبوري - دار التربية للطباعة والنشر - بغداد ١٩٧٢م.

٤١- الشعر الجاهلي مراحله واتجاهاته الفنية للدكتور سيد حنفي حسنين - الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١م.

٤٢- الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه للدكتور محمد النويهي - الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة.

٤٣- الشعراء الصعاليك في العصرِ الأموي للدكتور حسين عطوان - طبع دار المعارف بمصر ١٩٧٠م.

٤٤- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، للدكتور يوسف خليف - طبع دار المعارف بمصر الطبعة الثانية.

٤٥- الشعر والشعراء لابن قتيبة - تحقيق وشرح الأستاذ أحمد محمد شاكر - دار المعارف بمصر ١٩٦٦م.

٤٦- الطبقاتُ الكبرى لابن سعد - دار صادر للطباعة والنشر - بيروت ١٩٦٠م.

٤٧- العقد الفريد لابن عبد ربه - المطبعة الأزهرية المصرية - الطبعة الأولى ١٣٢١هـ.

٤٨- العمدة لابن رشيق - تحقيق وتعليق الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد - مطبعة السعادة بمصر - الطبعة الثانية ١٩٥٥م.

٤٩- الغزل في العصر الجاهلي للدكتور أحمد محمد الحوفي - دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة - الطبعة الثالثة.

٥٠- الغفران لأبي العلاء المعري، دراسة نقدية للدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء) - طبع دار المعارف بمصر - الطبعة الثالثة ١٩٦٨م.

٥١- الفتنة الكبرى للدكتور طه حسين - طبع دار المعارف بمصر - الطبعة السابعة ١٩٦٨م.

٥٢- الفهرست لابن النديم - مطبعة الاستقامة بالقاهرة.

٥٣- القراءات واللهجات للأستاذ عبد الوهاب حمودة - مطبعة السعادة بمصر ١٩٤٨م.

٥٤- الكامل للمبرد . تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم - طبع مكتبة نهضة مصر بالقاهرة ١٩٥٦م.

٥٥- اللغة الشاعرة للأستاذ عباس محمود العقاد - مطبعة الاستقلال الكبرى - بالقاهرة.

٥٦- اللهجات العربية للدكتور إبراهيم محمد نجا - مطبعة السعادة بمصر.

٥٧- المؤتلف والمختلف للآمدي ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج - مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ١٩٦١م.

٥٨- المتنبي وشوقي وإمارة الشعر للأستاذ عباس حسن - طبع دار المعارف بمصر - الطبعة الثانية ١٩٧٣م.

٥٩- المحبر لابن حبيب - طبع الهند ١٩٤٢م.

٦٠- المدارس النحوية للدكتور شوقي ضيف - طبع دار المعارف بمصر - الطبعة الثانية ١٩٧٢م.

٦١- المزهر للسيوطي . شرح وتعليق الأستاذ محمد أحمد جاد المولى وزميليه - مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر.

٦٢- المسالك والممالك للإصطخري - تحقيق الدكتور محمد جابر عبدالعال - وزارة الثقافة والإرشاد بمصر ١٩٦١م.

٦٣- المعارف لابن قتيبة - دار إحياء التراث العربي - بيروت : الطبعة الثانية ١٩٧٠م.

٦٤- المفضليات للمفضل الضبي - تحقيق وشرح الأستاذين : أحمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون - طبع دار المعارف بمصر - الطبعة الرابعة.

٦٥- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للآمدي - تحقيق السيد أحمد صقر - طبع دار المعارف بمصر - الطبعة الثانية ١٩٧٢م.

٦٦- الموشح للمرزباني. تحقيق علي محمد البجاوي - طبع دار نهضة مصر ١٩٦٥م.

٦٧- النشر في القراءات العشر لابن الجزري - طبعة التجارية بمصر.

٦٨- النقد الأدبي الحديث للدكتور محمد غنيمي هلال - مطبعة الاستقلال الكبرى بالقاهرة - الطبعة الرابعة ١٩٦٩م.

٦٩- النقد العربي الحديث: أصوله، قضاياه ، مناهجه، للدكتور محمد زغلول سلام - مكتبة الأنجلو المصرية - مطبعة المعرفة.

٧٠- النقد المنهجي عند العرب للدكتور محمد مندور - دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة.

٧١- الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني. تحقيق وشرح محمد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي - مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر.

٧٢- أنساب الأشراف للبلاذري - سلسلة ذخائر العرب رقم ٢٧ - طبع دار المعارف بمصر.

٧٣- أنساب العرب للأستاذ سمير عبد الرزاق القطب - دار البيان للطباعة والنشر بيروت - الطبعة الثانية ١٩٦٩م.

٧٤- بحث في الشعر الجاهلي. انتحاله وتمثيله للحياة الجاهلية تحليل ونقد - الدكتور سليمان حسن ربيع ١٩٧١م.

٧٥- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي . تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم - مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر- الطبعة الأولى ١٩٦٤م.

٧٦- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للألوسي - شرح وتصحيح الأستاذ محمد بهجة الأثري - مطابع دار الكتاب العربي بمصر - الطبعة الثالثة.

٧٧- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة . شرح وتحقيق السيد أحمد صقر - الطبعة الأولى - الحلبي بمصر ١٩٥٤م.

٧٨- تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان ـ طبع دار الهلال بمصر ـ ١٩٥٧م.

٧٩- تاريخ الآداب العربية للأستاذ كارلو نالينو ـ طبع دار المعارف بمصر ـ الطبعة الثانية ١٩٧٠م.

٨٠- تاريخ الأدب الجاهلي للدكتور علي الجندي ـ طبع ونشر مكتبة الأنجلو المصرية ـ الطبعة الثالثة ١٩٦٩م.

٨١- تاريخ الأدب العربي للدكتور بلاشير ـ ترجمة إبراهيم الكيلاني ـ طبعة دمشق ١٩٥٦م.

٨٢- تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ـ ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ـ طبع دار المعارف بمصر ـ الطبعة الثانية ١٩٦٨م.

٨٣- تاريخ الأدب العربي . العصر الجاهلي للدكتور شوقي ضيف ـ طبع دار المعارف بمصر ـ الطبعة الخامسة ١٩٧١م.

٨٤- تاريخ الأدب العربي ـ العصر الإسلامي للدكتور شوقي ضيف ـ طبع دار المعارف بمصر ـ الطبعة الرابعة.

٨٥- تاريخ الأمم والملوك للطبري ـ تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ـ طبع دار المعارف بمصر ١٩٦١م.

٨٦- تاريخ التفسير ومناهج المفسرين للدكتور عبد العظيم أحمد الغباشي ـ دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ـ الطبعة الأولى ١٩٧١م.

٨٧- تاريخ الشعر السياسي للأستاذ أحمد الشايب ـ مطبعة السعادة بمصر ـ الطبعة الرابعة ١٩٦٦م.

٨٨- تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي ـ المجمع العلمي العراقي.

٨٩- تاريخ القرآن للدكتور عبد الصبور شاهين ـ دار القلم بالقاهرة ـ ١٩٦٦م.

٩٠- تاريخ النقائض في الشعر العربي للأستاذ أحمد الشايب ـ طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ الطبعة الثالثة ١٩٦٦م.

٩١- تاريخ النقد الأدبي عند العرب للأستاذ طه أحمد إبراهيم ـ طبع دار الحكمة ـ بيروت.

٩٢- تاريخ النقد العربي للدكتور محمد زغلول سلام ـ طبع دار المعارف بمصر.

٩٣- تاريخ بغداد لأبي بكر البغدادي ـ طبع مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٣١م.

٩٤- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الأصبع المصري ـ تحقيق الدكتور حفني محمد شرف طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ القاهرة ١٣٨٣هـ.

٩٥- تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع للخطيب القزويني ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ـ الطبعة الأولى ١٩٣٨م.

٩٦- جزيرة العرب في القرن العشرين للأستاذ حافظ وهبة ـ طبع مكتبة النهضة المصرية الطبعة الثالثة ١٩٦١م.

٩٧- جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي. تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون ـ طبع دار المعارف بمصر الطبعة الثالثة ١٩٧١م.

٩٨- حديث الأربعاء للدكتور طه حسين ـ طبع دار المعارف بمصر ـ الطبعة العاشرة ١٩٧٣م.

٩٩- حضارة العرب للدكتور جوستاف لوبون ـ ترجمة الأستاذ عادل زُعَيْتر ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ١٩٦٩م.

١٠٠- حياة محمد للمرحوم الدكتور محمد حسين هيكل ـ طبع دار المعارف بمصر ـ الطبعة الحادية عشرة ١٩٧١م.

١٠١- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي ـ تحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون ـ دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٧م، وطبعة بولاق بمصر ١٢٩٩هـ.

١٠٢- دراسات عربية في اللغة والدين والأدب للدكتور أحمد حسن كحيل ـ مطبعة السعادة بمصر ١٩٦٩م.

١٠٣- دراسات في الأدب العباسي أو رشفات من رحيق الأدب للدكتور عبد السلام سرحان ـ مطبعة الفجالة بالقاهرة ـ الطبعة الثانية ١٩٦٥م.

١٠٤- دراسات في نقد الأدب العربي للدكتور بدوي طبانة ـ المطبعة الفنية الحديثة بالقاهرة ـ الطبعة الخامسة ١٩٦٩م.

١٠٥- ديوان أبي ذؤيب للمستشرق الألماني يوسف هل - هانوفر ١٩٣٩م.

١٠٦- ديوان الأعشى - تحقيق الأستاذ فوزي عطوي - الشركة اللبنانية للكتاب للطباعة والنشر - بيروت ١٩٦٨م.

١٠٧- ديوان البارودي - تحقيق وشرح عليّ الجارم ومحمد شفيق معروف - طبع دار المعارف بمصر ١٩٧١م.

١٠٨- ديوان حافظ إبراهيم - طبعة دار الكتاب.

١٠٩- ديوان حسان بن ثابت بشرح البرقوقي - مطبعة السعادة بمصر.

١١٠- ديوان ذي الرّمة نشره مكارتني - مطبعة كلية كبمردج ١٩١٩م.

١١١- ديوان المتنبيّ - شرح عبد الرحمن البرقوقي - دار الكتاب العربي - بيروت .

١١٢- ديوان الهذليين - طبع دار الكتب المصرية ١٩٤٥م.

١١٣- ذو الرّمة شاعر الحب والصحراء للدكتور يوسف خليف - طبع دار المعارف بمصر ١٩٧٠م.

١١٤- ذيل الأمالي والنوادر لأبي عليّ القالي - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.

١١٥- رسالة الغفران لأبي العلاء المعري - تحقيق وشرح الدكتورة عائشة عبد الرحمن "بنت الشاطئ" - طبع دار المعارف بمصر - الطبعة الخامسة ١٩٦٩م.

١١٦- زهرُ الآداب للحصري. شرح الدكتور زكي مبارك - مطبعة السعادة بمصر - الطبعة الثالثة ١٩٥٣م.

١١٧- سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب للسويدي - المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

١١٨- سينية البحتري. شرح ونقد وتحليل الدكتور عبد السلام سرحان ١٩٧٢م.

١١٩- شرح أبيات سيبويه للمزربان السيرافي - تحقيق الدكتور محمد علي الريح هاشم - مطبعة الفجالة الجديدة بالقاهرة ١٩٧٤م.

١٢٠- شرح أشعار الهذليين للمستشرق الإنجليزي "كوزجارتن" لندن١٨٥٤م.

١٢١- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر.

١٢٢- شرح المعلقات السبع للزوزني ـ طبعة صبيح ١٩٦٨م.

١٢٣- شرح المفصل لابن يعيش ـ المطبعة المنيرية بمصر.

١٢٤- شرح ديوان الحماسة للخطيب التبريزي ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ مطبعة الاستقامة بمصر.

١٢٥- شعراء النصرانية للأب لويس شيخو اليسوعي ـ بيروت ١٩٢٦م.

١٢٦- شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي للدكتور أحمد كمال زكي ـ دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ـ ١٩٦٩م.

١٢٧- شواهد الكتاب لسيبويه ـ جمعها ونشرها الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ـ المطبعة النموذجية بالقاهرة ١٩٤٩م.

١٢٨- صورة الأرض لابن حوقل ـ طبع بيروت.

١٢٩- طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين لابن سلاّم ـ تحقيق الأستاذ مصطفى عبد الجواد عمران ـ المطبعة العربية ـ طبعة ثانية ١٩٦٨م. وطبعة دار المعارف بتحقيق الأستاذ محمود شاكر ١٩٥٢م.

١٣٠- طبقات الشعراء لابن المعتز. تحقيق عبد الستار أحمد فراج ـ طبع دار المعارف بمصر ـ الطبعة الثانية ١٩٦٨م.

١٣١- عبد الله بن مسعود للدكتور عبده الراجحي ـ مطبعة دار الشعب بالقاهرة ١٩٧٠م.

١٣٢- عيار الشعر لابن طباطبا العلوي. تحقيق الدكتور طه الحاجري والدكتور محمد زغلول سلام ـ المكتبة التجارية بالقاهرة ١٩٥٦م.

١٣٣- عيون الأخبار لابن قتيبة ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ـ ١٩٦٣م.

١٣٤- فجر الإسلام للأستاذ أحمد أمين ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ـ الطبعة العاشرة ١٩٦٥م.

١٣٥- فحولة الشعراء للأصمعي ـ شرح وتحقيق الأستاذين محمد عبد المنعم خفاجي وطه محمد الزيني ـ المطبعة المنيرية بالقاهرة ـ طبعة أولى ١٩٥٣م.

١٣٦- فصيح ثعلب. تعليق الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي ـ المطبعة النموذجية بالقاهرة ـ الطبعة الأولى ١٩٤٩م.

١٣٧- في الأدب الإسلامي والأموي للدكتور سليمان حسن ربيع ـ مطبعة السعادة بمصر ـ الطبعة الثالثة ـ ١٩٦٦م.

١٣٨- في الأدب الجاهلي للدكتور طه حسين ـ طبع دار المعارف بمصر ـ الطبعة التاسعة ١٩٦٨م.

١٣٩- في منزل الوحي للمرحوم محمد حسين هيكل ـ طبع دار المعارف بمصر ـ الطبعة الخامسة ١٩٧١م.

١٤٠- قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ـ الطبعة الثانية ـ القاهرة ١٩٥٩م.

١٤١- قصة الحضارة تأليف المستشرق ديورانت وترجمة الأستاذ محمد بدران.

١٤٢- قضايا النقد الأدبي الحديث للدكتور محمد السعدي فرهود ـ مطبعة زهران بالقاهرة ـ طبعة أولى ١٩٦٨م.

١٤٣- قطوف من ثمار الأدب في الجاهلية وصدر الإسلام للدكتور عبد السلام سرحان ـ دار القومية العربية للطباعة بالقاهرة ـ الطبعة الثانية ١٩٧٢م.

١٤٤- قلب جزيرة العرب للأستاذ فؤادحمزة ـ المطبعة السلفية ومكتبتها ١٩٣٣م.

١٤٥- قواعد الشعر لأبي العباس ثعلب. شرح وتعليق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة ـ الطبعة الأولى ١٩٤٨م.

١٤٦- كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها ـ عرام بن الأصبغ السلمي ـ تحقيق عبد السلام هارون ١٣٧٣هـ.

١٤٧- كتاب الأصنام لابن الكلبي ـ تحقيق الأستاذ أحمد زكي باشا ـ المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩١٤م.

١٤٨- كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر لأبي هلال العسكري ـ تحقيق الأستاذين علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة ـ الطبعة الثانية ١٩٧١م.

١٤٩- كتاب شرح أشعار الهذليين لأبي سعيد السكري تحقيق الأستاذ عبد الستار أحمد فراج ومراجعة الأستاذ محمود محمد شاكر ـ دار العروبة بالقاهرة ١٩٦٥م.

١٥٠- لطائف الإشارات لفنون القراءات للإمام شهاب الدين القسطلاني ـ تحقيق وتعليق : الشيخ عامر السيد عثمان والدكتور عبد الصبور شاهين ـ طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ١٩٧٢م.

١٥١- لهجات العرب للأستاذ أحمد تيمور باشا ـ مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م.

١٥٢- مجالس ثعلب لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب. شرح وتحقيق عبد السلام محمد هارون ـ طبع دار المعارف بمصر ـ الطبعة الثالثة ١٩٦٩م.

١٥٣- محاضرات في الأدب الجاهلي للدكتور سليمان حسن ربيع ـ مطبعة السعادة بالقاهرة ـ الطبعة الأولى ١٩٦٥م.

١٥٤- محاضرات في البيان العربي للدكتور يوسف البيومي ـ مطبعة السعادة بمصر ـ الطبعة الأولى ١٩٦٥م.

١٥٥- محمد رسول الله ﷺ للأستاذ محمد رضا ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة ـ الطبعة الثالثة ١٩٤٩م.

١٥٦- محمود سامي البارودي للدكتور علي محمد الحديدي ـ سلسلة أعلام العرب رقم ٦٥ ـ دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٧م.

١٥٧- مروج الذهب للمسعودي ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ المكتبة التجارية بالقاهرة ـ الطبعة الثانية ١٩٥٨م.

١٥٨- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية للدكتور ناصر الدين الأسد ـ طبع دار المعارف بمصر ـ الطبعة الرابعة ١٩٦٩م.

١٥٩- مع القرآن للأستاذ أحمد حسن الباقوري ـ المطبعة النموذجية بالقاهرة ١٩٧٠م.

١٦٠- مع المتنبي للدكتور طه حسين ـ طبع دار المعارف بمصر ـ الطبعة العاشرة.

١٦١- معالم النقد الأدبي للدكتور عبد الرحمن عثمان ـ مطبعة دار النشر للجامعات المصرية ـ ١٩٦٨م.

١٦٢- معجم الأدباء لياقوت الحموي ـ طبع دار المأمون بالقاهرة ١٣٥٥هـ. ومطبعة هندية بالموسكي بمصر ـ الطبعة الثانية ١٩٢٣م.

١٦٣- معجم البلدان لياقوت الحموي ـ دار صادر للطباعة والنشر ـ بيروت ١٩٦٨م.

١٦٤- معجم الشعراء للمرزباني ـ تحقيق عبد الستار أحمد فراج ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة ١٩٦٠م.

١٦٥- معجم قبائل العرب للأستاذ عمر رضا كحالة ـ دمشق ١٩٤٩م.

١٦٦- معجم ما استعجم للبكري ـ تحقيق الأستاذ مصطفى السقا ـ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٤٥م.

١٦٧- مقدمة التاريخ لابن خلدون ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الطبعة الرابعة.

١٦٨- مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي للدكتور حسين عطوان ـ طبع دار المعارف بمصر ١٩٧٠م.

١٦٩- منار السالك إلى أوضح المسالك للأستاذ محمد عبد العزيز النجار ـ مطبعة الفجالة الجديدة بالقاهرة.

١٧٠- نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري ـ تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي ـ الطبعة الثانية ـ بيروت ١٩٧٠م.

١٧١- نصوص أدبية للأستاذين : أحمد إبراهيم الشعراوي وعبد المقصود السعداوي ـ مطبعة السعادة بمصر ـ طبعة أولى ١٩٦٥م.

١٧٢- نصوص مختارة من العصر العباسي الثاني للدكتور محمد السعدي فرهود ـ مطبعة الرسالة بالقاهرة ـ طبعة أولى ١٩٦٨م.

١٧٣- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة للشيخ محمد الطنطاوي - توزيع مكتبة عماد بالقاهرة - الطبعة الثانية ١٩٦٩م.

١٧٤- نظرية الانتحال في الشعر الجاهلي للدكتور عبد الحميد المسلوت - مطبعة دار القلم بالقاهرة.

١٧٥- نقد الشعر لقدامة بن جعفر - ضبط وشرح الأستاذ محمد عيسى منون - المطبعة المليجية بالقاهرة - الطبعة الأولى ١٩٣٤م.

١٧٦- نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

١٧٧- وفيات الأعيان لابن خلكان - تحقيق إحسان عباس - طبع دار الثقافة - بيروت . وطبعة النهضة المصرية - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ١٩٤٨م.

١٧٨- دائرة المعارف الإسلامية The Encyclopaedia of Islam .

فهرس الجزء الثاني

الصفحة

الباب الرابع
شعر هذيل وشعراؤها

الفصل الأول: دواوين الشعر الهذلي ورواته ٧–٥٢

دواوين القبائل ١٦

دواوين الشعر الهذلي ٢٠

الطبعات الأوربية ٢٢

الطبعات المصرية ٢٦

رواة الشعر الهذلي ٤١

١– أبو عمرو الشيباني ٤٧

٢– الأصمعي ٤٨

٣– ابن الأعرابي ٤٩

٤– السكري ٥٠

٥– الحلواني ٥١

٦– الرماني ٥٢

الفصل الثاني: أغراض الشعر الهذلي ٥٣–١٧٣

١– الغزل ٥٧

٢– الفخر ٧٧

٣– الوصف ٨٧

٤- الحماسة ١٦٦
٥- الرثاء ١٢٨
٦- المدح ١٥٦
٧- الهجاء ١٦٥
الفصل الثالث: خصائص الشعر الهذلي وميزاته ١٧٤-٢٤١
بنية القصيدة ١٧٤
١- الطابع البدوي ١٨٦
٢- التصوير ١٩٣
٣- الواقعية ٢٠٠
٤- الوحدة الموضوعية ٢٠٧
٥- المرثية الغزلية ٢١٥
٦- النقائض ٢٢٤
٧- خصائص لغوية ٢٣٤
الفصل الرابع: شعراء هذيل ٢٤٢-٢٧٨
١- أبو قلابة ٢٥٣
٢- المتنخِّل ٢٥٥
٣- عمرو ذو الكلب ٢٥٦
٤- عبد مناف بن ربع ٢٥٨
٥- ساعدة بن جؤية ٢٥٩
٦- صخر الغيِّ ٢٦٠
٧- الأعلم ٢٦٢
٨- أبو ذؤيب ٢٦٤

٩- أبو خراش ٢٦٨
١٠- أبو كبير ٢٧١
١١- معقل بن خويلد ٢٧٢
١٢- مليح بن الحكم القردي ٢٧٣
١٣- أبو العيال ٢٧٤
١٤- أمية بن أبي عائذ ٢٧٦
١٥- أبو صخر ٢٧٧

الباب الخامس

تأثير الشعر الهذلي في المحيط الأدبي

الفصل الأول · أثر الشعر الهذلي في الأدب والنقد ٢٨١-٣٥٠
أثر الشعر الهذلي في الشعر العربي ٢٨٧
موقف النقاد من الشعر الهذلي ٣٢٢
١- الأصمعي ٣٢٢
٢- أبو تمام ٣٢٣
٣- ابن قتيبة ٣٢٤
٤- البحتري ٣٢٥
٥- ابن طباطبا العلوي ٣٢٦
٦- قدامة بن جعفر ٣٢٧
٧- القاضي الجرجاني ٣٢٨
٨- الحسن بن بشر الآمدي ٣٢٨
٩- المرزباني ٣٣٠
١٠- أبو هلال العسكري ٣٣١

١١- أبو العلاء المعري ٣٣٣
مآخذ النقاد على الشعر الهذلي ٣٤٥
الفصل الثاني: اللغة العربية وأشعار هذيل ٣٥١-٣٧٤
الفصل الثالث: النحو العربي والشعر الهذلي ٣٧٥-٣٩٥
الكلمة الخاتمة والعبارة المتممة ٣٩٦-٤١٦
المصادر والمراجع ٤١٧-٤٣٠
الفهرس ٤٣١